عبد الحميد كشك

الجانب الخلقى فى العبادات

المختار الإسلامى
للطبع والنشر والتوزيع
١٦ شارع كامل صدقى بالفجالة
القاهرة ت ٩١١٣٧١

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمــــة

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله ولى الصالحين وأشهد أن سيدنا ونبينا وعظيمنا وحبيبنا محمداً رسول الله خاتم الأنبياء والمرسلين صلى اللهم وسلم وبارك على هذا النبى الأمين وعلى آله وصحابته الغر الميامين وأرحم اللهم مشايخنا ووالدينا وأمواتنا وأموات المسلمين أجمعين .

أما بعــد

فإن الأمة الإسلامية لا تعانى أزمة مادية إنما تعانى أزمة روحانية وخلقية لقد وجدنا أنفسنا أغنياء فى السلع لكننا فقراء فى الروح فقد وهبنا الله تعالى من المصادر المادية ما يجعلنا أغنى أمة على وجه الأرض نحن نملك الثروة البشرية والثروة المعدنية كما نملك الطاقة والأرصدة ونملك الموقع برا وبحرا . فالبحار والمحيطات والأنهار فى أرضنا ويرحم الله زمانا كان البحران الأبيض والأحمر بحيرتين صغيرتين تجريان فى أرض الإسلام فأين العالم كله منا من حيث العقيدة والثروة والموقع لكننا صرنا فى فرقة وشتات بعد أن كنا عقدا فريداً . لقد انفرط هذا العقد ولم يبق منه سوى خيط الذكرى الرفيع لقد أصبنا فى أغلى شيء وهو الخلق الذى مدح الله به رسوله فقال : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ وقال : ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين** ﴾ . ما أعظم مصيبة الأمم إذا أصيبت فى أخلاقها

وإذا أصيب القوم فى أخلاقهم   فاقم عليهم مأتما وعويــلا

إن هذا الكتاب يبين لنا مدى ارتباط العبادة بالخلق كما يبين أن شروط قبول العبادة حسن الخلق فهما متلازمان تلازم الشمس بالضوء والهواء بالأكسيجين والحياة بالماء ، فالخلق هو الروح الذى يسرى فى العبادة سريان ماء الورد فى الورد أو سريان الماء فى العود الأخضر أو الكهرباء فى أسلاك البلاتين . الخلق للعبادة كالماء والهواء والضياء ومن ثم فإن رسول الله ﷺ يركز دعوته فى كلمات موجزة المبنى عظيمة المغزى والمرمى فيقول : « **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** » وحسبنا هذا وليعلم القارىء أن العلم النافع كنز ثمين لا يقدر بالمال ولا يقوم بالمادة إنما مكانه فوق مسابح الأفلاك .

والله نعم الموفق

المؤلـف

عبد الحميد كشك

الــدرس الأول

عُنى الإسلام عناية عظمى بالجانب الخلقى فى العبادات فالمتأمل بنظر ثاقب وعقل صائب فى جانب العبادات الإسلامية يجد أن هناك هدفا وغاية من أهداف العبادات وغاياتها أصبح ظاهراً كالشمس فى ضحاها ألا وهو الجانب الأخلاق ولنفصّل هنا المعنى تفصيلا يوضح مراميه .

أليس الإسلام قد بنى على خمس وهى : الشهادتان وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيت فتعال معى لنقف أمام الجانب الأخلاق فى هذه العبادات حتى نقر مذعنين بصحة ما ورد عن سيد المرسلين : « **إنما بعثت لأتمم مكارم الأخلاق** » .

الشهادتان هى : شهادة التوحيد والاقرار بالنبوة لصاحب الرسالة العصماء فمن اعتقد بوحدانية خالقه اتصف بأنه عزيز لا يعبد إلا الله معتقد أنه لا يملك الضر والنفع إلا الله متمسك بقوله جل شأنه : ﴿ **وما تشاءون إلا أن يشاء الله** ﴾ والشهادة بأن محمداً رسول الله فيها القدوة ومن أحسن من رسول الله قدوة ﴿ **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر وذكر الله كثيرا** ﴾ .

وفى القدوة خلق يكسب صاحبه تخلقا ومن أحسن من رسول الله خلقا لقد مدحه الله تعالى بما منحه فقال : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾ وفى التخلق تذوق ومن أسلم من رسول الله ذوقا . وفى التذوق تحقق وهذه هى الغاية القصوى من تربية الفرد المسلم ومنطقة الأمان التى ينشرها الدعاة الصادقون .

ففى القرآن الكريم موطنان أولهما يأمر باتخاذ الفرد قدوة والثانى يأمر باتخاذ الجماعة قدوة . ففى الموطن الأول يقول تعالى : ﴿ **لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة** ﴾ .

وفى الموطن الثانى يقول تعالى : ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** ﴾ ثم ماذا ؟

﴿ **تراهم ركعا سجدا** ﴾ ماذا يريدون ؟ ﴿ **يبتغون فضلا من الله ورضوانا** ﴾ معرفة مجردة من أى غرض أو رياء .

ما علامتهم ؟ ﴿ **سيماهم فى وجوههم من أثر السجود** ﴾ .

تلك هى الجماعة الصالحة النافعة المثمرة نشأت فى رضوان الله وتربت على عين الله . إنها شجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء مثمرة تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ، ثابت على كلمة التوحيد لا تعرف الشر ولا الضرر ﴿ **يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة** ﴾ .

إن هذا النبت الصالح الذى أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه يعطينا دروسا فى الحياة وللدعاة خاصة .

أول هذه الدروس أن يكون الداعية صبوراً لا يعرف اليأس إلى قلبه سبيلا . هل هناك نبات يؤتى أكله طفرة ويثمر فجأة ؟ لا بل لابد أن يأخذ أطواره كاملة كما تقتضى السنة الإلهية ولكى يأخذ النبات أطواره لابد أن يتعهده الزراع حتى يستوى على سوقه . والنبات هنا ضرب الله به مثلاً لأتباع رسول الله ﷺ لأن فيها دروسا ناجحة وناجعة لمن أراد أن يذكر : أولها أن المسلم عضو نافع فى مجتمع لا تعرف السلبية إلى نفسه سبيلا . ألم تقرأ قوله تعالى : ﴿ **تؤتى أكلها** ﴾ ولم يقل تثمر ثمرتها ، أى أنها لا تثمر لنفسها إنما تثمر لتؤتى غيرها وفى النبات خلق الصفح والتسامح . ألم تر إلى قول أحد الحكماء : يا أيها الناس كونوا مع الناس كالشجر يرمونه بالحجر فيرميهم بأطيب الثمر .

أليس هذا هو المعنى السامى الذى يرتفع بنفسه عن الأنانية وحب الذات . وفى النبات معنى التوكل واليقين فى الله ألم تر إلى قوله تعالى : ﴿ **بإذن ربها** ﴾ ومن ثم قال تعالى فى عقيدة المسلم : ﴿ **كشجرة طيبة** ﴾ وقال فى الجماعة المسلمة : ﴿ **كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه** ﴾ .

وهذا ما تدلنا عليه كلمة التوحيد والرسالة وما نأخذه منهما من جوانب خلقية ترتفع بنفس المؤمن من حمأة الطين وكثافة المادة إلى ما فوق قبة الفلك ، ولطافة الروح .

أذكر وأنا اقرأ كتب الفقه فى الدراسات الإسلامية أننى كثيراً ما سألت نفسى أين الجانب الروحانى فى هذه الكتب وهو الجانب الذى يسرى فى نفس المسلم إذا قرأ أحكام الله سريان ماء الورد فى الورد أو سريان ماء الحياة فى العود الأخضر .

لماذا أصيبت هذه الكتب بهذا الجفاف ولماذا افتقدت هذا الجانب الذى يتفيأ الإنسان تحته ظلا وارفاً ظليلاً على وجه المثال إذا تكلمت عن الصلاة تراها فجأة تدخل بك فى اصطلاحات جافة تعرفها لغة وشرعا قبل أن تذكر لنا الأثر الروحانى الرفيع فى الصلاة وما ورد فى شأنها من إجلال الله لها ورفع مكانتها حتى أنها فرضت فى ليلة المعراج بعدما عبر الرسول ﷺ منطقة سدرة المنتهى .

وكتب الفقه إذا تحدثت عن شروط الصلاة تتحدث عن شروط وجوبها من الإسلام والبلوغ والعقل وعن شروط صحتها من دخول الوقت والطهارة وستر العورة واستقبال القبلة ونسيت أو تناست عن عمد أهم الشروط وهى شروط قبولها فكم من مصل يصلى وليس له من صلاته إلا ركوع وسجود يموت كل منهما قبل أن يسلم التسليمتين . وكم من قائم بالليل ليس له من قيامه إلا السهر .

وهكذا يصاب المسلمون فى كتب الفقه بما يجعلهم فى لهو وغفلة عن أهداف العبادات والمعاملات والأمثلة على ذلك كثيرة لا تحصى متعددة لا تستقصى .

وكم سألت نفسى أكل صلاة مقبولة ؟ أم أن للصلاة شروطا لابد من توافرها لكي يقبلها الله من صاحبها .

وتأملت وما تلك الشروط ؟ وعلمت أن للصلاة شروطا لابد منها لتقبل . وقد جاءت هذه الشروط فى حديث قدسى جليل يقول فيه رب العزة :

« إنما اتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ولم يستطل على خلقى ولم يبت مصرا على معصيتى وقطع نهاره فى ذكرى ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب ذلك نوره كنور الشمس اكلأه بعزتى واستحفظه ملائكتى اجعل له فى الظلمة نوراً وفى الجهالة حلما ومثله فى خلقى كمثل الفردوس فى الجنة » .

إن جلال هذا الكلام وجماله وكماله يكاد سنا برقه يذهب بالأبصار فلو تأملت معى شروط قبول الصلاة علمت أن المصلين لو عملوا بها ما كان بين الأمة جائع ولا عريان ولا مغبون ولا مهضوم ولا قفرت الجفون من المدامع ولاطمأنت الجنوب فى المضاجع ولمحت الرحمة الشقاء من المجتمع كما يمحو نور الصبح مداد الظلام .

تأملها معى جيدا إنها التواضع وفى التواضع ما فيه من حميد السجايا وكريم الشمائل ، من تواضع لله رفعه ومن تكبر وضعه الله :

تواضع تكن كالنجم لاح لناظر على صفحات الماء وهو رفيع
ولا تكن كالدخان يعلو بنفسه إلى طبقات الجو وهو وضيع

إن الكبر وهو غمط الناس وبطر الحق رذيلة من أسوأ ما يتصف به المرء ومن ثم كان الوعيد عليه شديداً . قال ﷺ : **« لا يدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من كبر . قال رجل : يا رسول الله : الرجل منا يحب أن يكون ثوبه حسنا ونعله حسنا . قال ﷺ : إن الله جميل يحب الجمال »** والجمال الذى يحبه الله هو الجمال النظيف من الخلق الجميل أما الجمال المحرم فإنه بعيد كل البعد عن هذا الحديث مما تراه العيون المسمومة جمالا فى نظرة جائعة إلى ما حرم الله فليس هذا بجمال يحبه الله بل يبغضه وإن عظمة الإسلام تتجلى فى أنه دين النظافة فى أسمى معانيها .

يا مدعى الكبر اعجابا بصورته انظر خلاك فإن النتن تثريب
لو فكر الناس فيما فى بطونهمُ ما استشعر الكبر شبان ولا شيب
ياابن التراب ومأكول التراب غداً اقصر فإنك مأكول ومشروب

عبد الحميد كشك

الـدرس الثانـى

تكلمنا فى المقال السابق عن عناية الإسلام بالجانب الخلقى فى الصلاة والآن نصل من الحديث ما به تمام المعنى – فقد ذكر الحديث القدسى أن من شروط قبول الصلاة التواضع لعظمة الله تعالى فالكبر رذيلة ممقوتة والتواضع فضيلة مشكورة كريمة . كذلك من شروط قبولها ما جاء فى الحديث القدسى : « **ولم يستطل على خلقى** » والاستطالة على الخلق ايذاؤهم وبقدر ما رغب الإسلام فى المودة والمحبة والرحمة والتعاطف بقدر ما نهى نهيا جازما قاطعا عن الأذى أيا كان نوعه .

فالمسلمون فى التصور الإسلامى كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالسهر والحمى .

ولقد بلغ من رحمة الإسلام وإنسانيته بالخلق أنه دخلت امرأة النار فى هرة حبستها لا هى أطعمتها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الأرض حتى ماتت جوعاً فأدخلها الله النار بسبب ذلك .

فاعجب معى لتلك القيم الإسلامية الرفيعة والمثل الخلقية العليا وفى نفس الوقت يدخل الله تعالى رجلاً الجنة بماذا ؟

بشىء إن دل فإنما يدل على مدى نبل الشعور ورقة الاحساس . لقد سقى كلبا كان قد اشتد به العطش لما رآه يلهث الثرى (أى التراب الندى) .

قال الرجل : لقد بلغ هذا مثل الذى بلغ بى فسقاه حتى روى فنقع غلته واطفأ لهيب ظمئه فشكر الله له صنيعه فغفر له وأدخله الجنة . قالت الصحابة : يا رسول الله وإن لنا فى البهائم لأجرا ؟ قال : « **نعم لكم فى كل ذات كبد رطبة**

أجر » . فأعجب معى لهذا الإسلام العظيم الذى انتظم الكون كله فى ظلال الرحمة الوارفة الظليلة واعجب معى عندما يسأل رب العزة العبد فى ساحة الحساب تلك الأسئلة التى يقف الإنسان لها موقف الاجلال والاكبار والاعظام لرب أقام الوجود بحكمته وعم العالمين برحمته هو الواحد بلا عدد القائم بلا عمد الدائم بلا أمد لا يشغله سائل ولا ينقصه نائل علا فقهر وبطن فخبر وملك فقدر .

يقول للعبد يوم القيامة : « **عبدى مرضت فلم تعدنى ؟ فيقول العبد : وكيف أعودك وأنت الله رب العالمين . فيقول له : مرض عبدى فلان فلم تعده أوما علمت أنك لو عدته لوجدتنى عنده . عبدى استسقيتك فلم تسقنى ؟ فيقول العبد : وكيف اسقيك وأنت الله رب العالمين . فيقول له : استسقاك عبدى فلان فلم تسقه أوما علمت أنك لو سقيته لوجدت ذلك عندى . عبدى : استطعمتك فلم تطعمنى ؟ فيقول العبد : وكيف أطعمك وأنت الله رب العالمين . فيقول له : استطعمك عبدى فلان فلم تطعمه أوما علمت أنك لو أطعمته لوجدت ذلك عندى** » .

سبحانك ربى :

الوجود ملكك والقضاء حكمتك وكل الكائنات طوع إرادتك تنزه عن الشريك ذاتك وتقدست عن مشابهة الأغيار صفاتك . بالبر معروف وبالإحسان موصوف :

معـــروف بلا غايـــــة وموصـــوف بلا نهايـــة
واحـــد لا من قلـــة وموجـــود لا من علـــة

بلغ من رحمتك بعبادك أنك تنسب تلك الأمور إلى ذاتك « **مرضت فلم تعدنى** » « **استسقيتك فلم تسقنى** » « **استطعمتك فلم تطعمنى** » كل هذا ليعلم الناس مدى المسئولية التى أمرتهم بأدائها ومدى التراحم الذى يجب أن يكون بينهم .

إلهى عظمت رحمتك وعمت حكمتك وتعالت كلمتك استحى أن أسألك وأنا أنا ولكن كيف لا أسألك وأنت أنت .

إن كانت ذنوبى لها حد وغاية فإن عفوك لا حد له ولا نهاية .

إن العبد الصالح إذا مات استراح بالموت من عناء الدنيا وإن العبد الفاجر إذا مات استراح منه البلاد والعباد والشجر والدواب .

تأمل معى كثيرا لتلك العبارة النبوية المشرقة التى تفيض رأفة ورحمة وتتألق نوراً وضياءً وتفوح مسكا وعبيرا وتسمو جلالا وكمالا وجمالا : « **الفاجر إذا مات استراح منه البلاد والعباد والشجر والدواب** » حتى النبات يستريح من الفاجر لأذاه .

فالفاجر يؤذى بلسانه مرة وبيديه أخرى وبرجليه ثالثة وقلبه ملىء بالحسد والشحناء والسوء والبغضاء .

سئل النبى ﷺ عن امرأة تصوم النهار وتقوم الليل فقال : « **لا خير فيها هى من أهل النار** » نعم إن من شروط قبول العبادة التزام السلوك الصحيح فإذا ما فقد هذا الشرط خلت العبادة من مضمونها وتحللت من ثمارها فأصبحت مواتا لا روح فيها ﴿ **وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى ناراً حامية تسقى من عين آنية** ﴾ .

يا واعظ الناس قد أصبحت متهما	إذا عبت منهم أموراً أنت تأتيها
تعيب دنيا وناسا عاملين لهـــا	وأنت أكثر منهم رغبة فيهـــا

لذلك لا تعجب إذا رأيت ما يفيد فى الحديث القدسى أن من شروط قبول الصلاة قوله تعالى : « **ولم يستطل على خلقى** » .

فابغض شىء لدى الإسلام الأذى .

لذا جاء هذا الشرط جوهريا فى شروط الصلاة حتى يقبلها الله من صاحبها وأيا كان الأذى باللسان أو النظر أو اليدين أو الرجلين أو القلب فإنه ممقوت ومذموم .

قال ﷺ فى حديثه الجامع والذى يعتبر أصلا من أصول الإسلام الراسخة وقاعدة من قواعده الأساسية : « **لا ضرر ولا ضرار** » . والإسلام لا يحب الأذى ولا يرتضيه ولو فى أبسط صورة من صوره ولو بتخطى رقاب المصلين :

« فمن تخطى رقاب الناس فقد آذاهم ومن آذاهم فقد آذانى ومن آذانى فقد آذى الله ومن آذى الله يوشك أن يأخذه » .

وحتى الجلوس فى الطرقات يحذر منه صاحب الرسالة العصماء فيقول : **« إياكم والجلوس فى الطرقات . فيقولون يا رسول الله : إنها مجالسنا نتحدث فيها وما لنا بد عنها فيقول : فإن أبيتم إلا الجلوس فى الطرقات فاعطوا الطريق حقها . قالوا : وما حق الطريق يا رسول الله ؟ فقال : منع الأذى وغض البصر ورد السلام والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر »** ألا ترى معى أن الإسلام يطارد الأذى فى كل نواحى الدنيا ويعلن عليه حربا شعواء لا هوادة فيها ذلك لأن الإسلام رحمة وسلام ومحبة وإخاء ومودة وتعاطف ومثل ومبادىء ورفعة وطهارة ونزاهة وإصلاح **﴿ إن أريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب ﴾** .

عبد الحميد كشـك

الدرس الثالث

إرشاد العباد

لا يقبل الله الصلاة من العبد إلا إذا تواضع بها لعظمة الله تعالى ولم يستطل على خلقه بالأذى ومن ثم فإن الإسلام والأذى لا يجتمعان .

قال ﷺ : « **لا ضرر ولا ضرار** » .

ذكروا أن رجلا من الصالحين ابتلى بزوجة ناشز فقال له أحد أصحابه : ما ضر لو طلقتها ؟ قال : أخشى أن أطلقها فيبتلى بها غيرى فتؤذيه ومعاذ الله أن أكون سببا فى أذى عباد الله . قال له : فماذا أنت صانع ؟

قال : اصبر واحتسب فأيما رجل صبر على سوء خلق زوجته أعطاه الله مثلما أعطى أيوب على بلائه وأيما امرأة صبرت على سوء خلق زوجها أعطاها الله مثلما أعطى آسية زوج فرعون .

فانظر إلى أى مدى حافظ الإسلام على أفراد الأمة وإلى أى مدى حارب الإسلام الضرر والاضرار بالناس .

فالمسلم الحق من سلم المسلمون من لسانه ويده ، وقد حذر الإسلام من شيئين قرن أحدهما بالآخر وهما : الاشراك بالله والاضرار بالناس كذلك لا يقبل الله الصلاة من العبد إذا بات مصرا على معصية الله وهذا ثالث الشروط التى لابد من توافرها لقبول الصلاة تحقيقا لعناية الإسلام بالجانب الخلقى فى العبادات .

فالسلوك والعبادات متلازمان تلازم الضوء للشمس والرى للماء والعبير للأزهار .

إن من القواعد المقررة شرعاً أنه لا كبيرة مع الاستغفار ولا صغيرة مع الاصرار .

والاصرار على الصغيرة يجعلها كبيرة والاستغفار من الكبيرة يغفرها باذن الله ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ ﴿ **ومن يشرك بالله فقد ضل ضلالا بعيداً** ﴾ .

وشاءت رحمة الله تعالى أن يجعل اجتناب الكبائر كفارة للصغائر .

قال عز من قائل : ﴿ **إن تجتنبوا كبائر ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما** ﴾ وعدالة الله قد اقتضت ألا يظلم الناس مثقال ذرة .

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما** ﴾ .

وقد شاءت إرادته أن يريد بنا الخير والتخفيف ورفع الحرج . قال عظمت حكمته : ﴿ **يريد الله ليبين لكم ويهديكم سنن الذين من قبلكم ويتوب عليكم والله عليم حكيم والله يريد أن يتوب عليكم ويريد الذين يتبعون الشهوات أن تميلوا ميلا عظيما يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الإنسان ضعيفا** ﴾ .

ومما هو معلوم الثبوت أنه من لزم الاستغفار جعل الله له من كل ضيق فرجا ومن كل شدة مخرجا ورزقه من حيث لا يحتسب .

قال تعالى : ﴿ **ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاءوك فاستغفروا الله واستغفر لهم الرسول لوجدوا الله تواباً رحيما** ﴾ .

وقال عز من قائل : ﴿ **ومن يعمل سوءاًأو يظلم نفسه ثم يستغفر الله يجد الله غفوراً رحيما** ﴾ .

قال أبو بكر رضى الله عنه :

(قرأت القرآن كله فلم أجد أرجى من قوله تعالى : ﴿ **قل كل يعمل**

على شاكلته فربكم أعلم بمن هو اهدى سبيلا ﴾ شاكلة العبد المعصية وشاكلة الرب المغفرة والرحمة) .

وقال عمر رضى الله عنه :

(قرأت القرآن كله فلم أجد أرجى من قوله تعالى : ﴿ **غافر الذنب وقابل التوب** ﴾) .

وقال عثمان رضى الله عنه :

(قرأت القرآن كله فلم أجد أرجى من قوله تعالى : ﴿ **قل يا عبادى الذين اسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا إنه هو الغفور الرحيم** ﴾ .

سبحانك ربى :

يا من يجيب العبد قبل سؤاله ويجود للعاصين بالغفـــران
وإذا أتاه الطالبون لعفـــوه ستر القبيـــح وجاد بالاحسـان

شعاع من رضاك يطفىء غضب ملوك أهل الأرض ولمحة من غضبك تزهق الروح ولو انغمست فى نعيم الدنيا .

قطرة من فيض جودك تملأ الأرض ريا

ونظرة بعين رضاك تجعل الكافر وليا

ألست أنت القائل فى حديثك القدسى الجليل :

« أنا عند ظن عبدى بى وأنا معه إذا ذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى فى ملأ عنده ذكرته فى ملأ خير منه وإن تقرب إلى شبرا تقربت منه ذراعا وإن تقرب منى ذراعاً تقربت منه باعا وإن أتانى يمشى أتيته هرولة (أى مسرعا) » ..

لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لا شريك لك .

لما قرأ قتادة رضى الله عنه قوله تعالى لموسى وهارون : ﴿ **اذهبا إلى فرعون إنه طغى فقولا له قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى** ﴾ قال قتادة :

سبحانك ربى ما أحلمك ما أكرمك ما أعظمك إذا كان هذا حلمك بفرعون الذى قال أنا ربكم الأعلى فكيف يكون حكمك بعبد قال سبحان ربى الأعلى .

وإذا كان هذا حلمك بفرعون الذى قال : ﴿ **يا أيها الملأ ما علمت لكم من إله غيرى** ﴾ فكيف يكون حكمك بعبد قال لا إله إلا الله سبحانك ربى :

أنت الذى تهب الكثير وتجبر القلب الكسير وتغفر الزلات .

وتقول هل من تائب مستغفر أو سائل اقضى له الحاجات . لقد بلغ من عطفك وحلمك وعفوك أنك تقول للكرام الكاتبين :

« **إذا هم عبدى بفعل سيئة فلا تكتبوها له حتى يفعلها فإن فعلها فاكتبوها له سيئة مثلها وإن تركها من أجلى فاكتبوها له حسنة وإذا هم عبدى بفعل حسنة ولم يفعلها فاكتبوها له حسنة فإن فعلها فاكتبوها له بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف** » أهل ذكرك أهل طاعتك أهل محبتك أهل شكرك أهل زيادتك أهل معصيتك لا تقنطهم من رحمتك إن تابوا إليك فأنت حبيبهم فإنك تحب التائبين وتحب المتطهرين وإن لم يتوبوا فأنت طبيبهم تبتليهم بالمصائب لتطهرهم من الذنوب والمعايب الحسنة عندك بعشر أمثالها وتزيد والسيئة بمثلها وتعفو وأنت أرأف بعبادك من الأم بولدها وسعت كل شىء رحمة وعلما فلتسعنا رحمتك فإننا أشياء وأنت السيد المولى الكريم عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير ولك المشتكى وأنت علام الغيوب ومحيى القلوب وصلى الله على سيدنا محمد .

عبد الحميد كشـك

الدرس الرابـــع

إرشـــاد العبـــاد

كذلك من شروط قبول الصلاة أن يكون قلب العبد مطمئنا بذكر الله .

قال أحد الصالحين لأتباعه ذات يوم : إذا ذكر الصالحون نزلت الرحمة :

فقال له أحدهم :

فكيف إذا ذكر الله ؟

فقال الشيخ :

إذا ذكر الله نزلت الطمأنينة أوما قرأت قوله تعالى : ﴿ **الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله ألا بذكر الله تطمئن القلوب** ﴾ .

تباركت ربنا وتعاليت أنت القائل فى حديثك القدسى الجليل :

« **إنما اتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ولم يستطل على خلقى ولم يبت مصرا على معصيتى وقطع نهاره فى ذكرى** » .

والمراد بالذكر هنا استحضار عظمة الله فى قلب المؤمن وهو بهذا المعنى أعم وأشمل من ذكر الله .

يقول النبى ﷺ :

« **ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من انفاق الذهب والورق وخير لكم من أن تلقوا**

عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم . قلنا : بلى . قال : ذكر الله » .

وليس الذكر هنا مقصوراً على ما يجرى على الألسنة إنما الذكر كما قال بعض العلماء على سبعة أنحاء فذكر العينين : البكاء . وذكر الأذنين : الاصغاء . وذكر اللسان : الثناء . وذكر البدن : الوفاء . وذكر اليدين : العطاء . وذكر الروح : الخوف والرجاء . وذكر القلب : التسليم والرجاء .

وعلى الذاكر أن يعلم أنه لابد من اقتران الذكر بالفكر قال تعالى :

﴿ إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون فى خلق السماوات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار ﴾ .

فالذكر بلا تفكر خولء .

والتفكر بلا ذكر جفاء .

والذكر مع التفكر محبة ووفاء .

فاذكر الله يا أخى على كل حال قائما وقاعداً وعلى جنبك ولا يزال لسانك رطبا من ذكر الله .

وكن ذاكرا لله فى كل أفعالك فاذكره فى بيعك وشرائك وذهابك وإيابك وسلوكك ومعاملتك .

فإن من ذكر الله فقد اتقاه ومن اتقاه فقد خافه ومن خاف الله عرفه ومن عرف الله أطاعه ومن أطاعه لا يهم بمعصية .

قال تعالى فى الحديث القدسى الجليل :

« **أنا جليس من ذكرنى وحيثما التمسنى عبدى وجدنى** » ولا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسوا قلوبكم وإن القلب القاسى بعيد عن الله ولكن لا تعلمون .

ولا تنظروا فى ذنوب الناس كأنكم أرباب انظروا فى ذنوبكم كأنكم عباد فإنما الناس مبتلى ومعافى فارحموا أهل البلاء وأحمدوا الله على العافية .

قال موسى عليه السلام لربه :

يارب كيف أشكرك

قال : تذكرنى ولا تنسانى إنك إن ذكرتنى شكرتنى وإن نسيتنى كفرتنى فاذكرونى أذكركم واشكرولى ولا تكفرون إياك والأعراض عن ذكر الله فذلك هو الضلال البعيد .

قال تعالى :

﴿ ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون إنهم مهتدون حتى إذا جاءنا قال يا ليت بينى وبينك بعد المشرقين فبئس القرين ﴾ .

وقال تبارك اسمه :

﴿ ومن أعرض عن ذكرى فإن له معيشة ضنكا ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتنى أعمى وقد كنت بصيرا قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى ﴾ .

وأعلم أن خير الأصحاب من إذا ذكرت الله أعانك وإذا نسيت ذكرك .

وإن شر الأصحاب من إذا ذكرت الله لا يعينك وإذا نسيت لا يذكرك .

فلا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقى .

اجعل بربك كل عزك يستقر ويثبت

فإذا اعتززت بمن يموت فإن عزك ميت

وأعلم بأن دلالة الظاهر لا تغنى عن طهارة الباطن .

﴿ ومن الناس من يعجبك قوله فى الحياة الدنيا ويشهد الله على ما فى قلبه وهو ألد الخصام وإذا تولى سعى فى الأرض ليفسد فيها ويهلك الحرث والنسل والله لا يحب الفساد وإذا قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم فحسبه جهنم ولبئس المهاد ﴾ .

فليس الذكر كلمات تلوكها الألسنة أو تنبس بها الشفاة إنما الذكر طمأنينة فى القلب نابعة عن استحضار عظمة الله ونعته بنعوت الجلال والجمال والكمال .

لما ذهب بلال بن رباح رضى الله عنه ليؤذن الفجر ذات يوم وجد مبعوث العناية الإلهية صلوات ربى وسلامه عليه وقد فاضت عيناه من الدمع .

قال بلال : نفسى لك الفداء يا رسول الله ما يبكيك ؟ قال : « **يا بلال لقد أنزلت علىّ الليلة آية ويل لمن لاكها بلسانه ولم يتدبرها قلبه** » قال بلال : بأبى أنت وأمى يا رسول الله وما هى ؟ فقرأ النبى ﷺ قوله تعالى : **﴿ إن فى خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الألباب ﴾** .

فلابد أن يستجيب اللسان لنداء القلب فمن ذكر الله بلسانه وبين اللسان والقلب حجاب ومن تلا آياته – وبين التلاوة والفؤاد سور له باب – فهو كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه .

لا يعجبنك من خطيب خطبة حتى يكون مع الكلام أصيلا
إن الكلام لفى الفؤاد وإنما جعل اللسان على الفؤاد دليلا

فاللهم إنا نسألك لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وعملا متقبلا وبدنا على البلاء صابرا ونعوذ بك من قلب لا يخشع ونفس لا تشبع وعين لا تدمع ودعاء لا يسمع . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

عبد الحميد كشك

وهكذا يصل بنا الحديث عن شروط قبول الصلاة إلى الشرط الخامس فبعد أن جاء فى الحديث القدسى إنما اتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتى ولم يستطل على خلقى ولم يبت مصرا على معصيتى وقطع نهاره فى ذكرى .

جاء الشرط الخامس متمثلا فى هذه العبارة :

« **ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة ورحم المصاب** » .

إذا سئلت عن الإسلام فقل إنه دين الرحمة فعنوان القرآن بسم الله الرحمن الرحيم .

وصفة الله : ورحمتى وسعت كل شىء .

ورسالة الرسول ﷺ : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ .

فيارب إن لم أكن أهلا لبلوغ رحمتك فإن رحمتك أهل لأن تبلغنى .

فأنت القائل :

﴿ **ورحمتى وسعت كل شىء** ﴾ وأنا شىء فلتسعنى رحمتك .

يا من يجيب المضطر إذا دعاه

ويكشف السوء عمن ناجاه .

إن الإسلام هو دين البر والصلة .

فالبر والصلة يعمران الديار ويزيدان فى الأعمار ويباركان فى الأرزاق .

عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **من**

سره أن يمد له فى عمره ويزاد له فى رزقه فليبر والديه وليصل رحمه » .

(رواه أحمد)

يارب حبك فى دمى وكيانى ... نور أغر يذوب فى وجدانى
أنا لا أضام وفى رحابك عصمتى ... أنا لا أخاف وفى رضاك أمانى

يا من قلت وقولك الحق : إن رحمة الله قريب من المحسنين .

وقلت وقولك الصدق : ﴿ **نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم** ﴾ .

وأمر رسولك الكريم الأمة أن تتخلق بتلك الصفات الكريمة فقال : « **تخلقوا بأخلاق الله** » .

وقال : « **ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء** » .

وقال : « **الراحمون يرحمهم الرحمن** » .

وروى الصديق رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ عن الأمين جبريل عن رب العزة قال : « **إن أردتم رحمتى فأرحموا خلقى** » .

عن ثوبان رضى الله عنه قال :

قال رسول الله ﷺ :

« **إن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه ولا يرد القدر إلا الدعاء ولا يزيد فى العمر إلا البر** » . (رواه ابن ماجه وابن حبان فى صحيحه)

فاعلم يا أخى أن البر لا يبلى وأن الذنب لا ينسى وأن الديان لا يموت أعمل ما شئت كما تدين تدان .

واصنع المعروف فى أهله وفى غير أهله فإن صادف أهله فهو أهله وإن لم يصادف أهله فأنت أهله

ازرع جميلا ولو فى غير موضعه ... فلن يضيع جميل أينمـا زرعا
إن الجميل وإن طال الزمـان به ... فليس يحصده إلا الذى زرعـا

عن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **عفوا عن نساء الناس تعف نساؤكم وبروا آباءكم تبركم أبناؤكم ومن أتاه أخوه متنصلا فليقبل ذلك محقا كان أو مبطلا فإن لم يفعل لم يرد على الحوض** » .

(رواه الحاكم من رواية سويد عن أبى رافع عنه وقال : صحيح الإسناد) .

ومعنى متنصلا : أى معترفا بذنبه .

إن شر الخلق من أكل وحده ومنع رفده وضرب عبده وشر منه من لا يقيل عثره ولا يقبل معذرة ولا يغفر ذنبا وشر منه من يبغض الناس ويبغضونه .

فبادروا بالأعمال الصالحة سبعا هل تنتظرون إلا فقرا منسيا أو غنى مطغيا أو مرضا مفسدا أو هرما مفندا أو موتا مجهزا أو الدجال فشر غائب ينتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر .

يا من بدنياه اشتغل وعزه طول الأمل
الموت يأتى بغتة والقبر صندوق العمل

عجبت لمن يؤمن بالموت كيف يفرح

وعجبت لمن يؤمن بالنار كيف يضحك

وعجبت لمن يؤمن بالحساب غدا كيف يغفل

وعجبت لمن يؤمن بالرزق كيف ينصب

وعجبت لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف اطمأن قلبه إليها .

﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله ومن يفعل ذلك فأولئك هم الخاسرون وانفقوا مما رزقناكم من قبل أن يأتى أحدكم الموت فيقول رب لولا أخرتنى إلى أجل قريب فأصدق وأكن من الصالحين ولن يؤخر الله نفسا إذا جاء أجلها والله خبير بما تعملون ﴾ .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **رغم أنفه ثم رغم**

أنفه ثم رغم أنفه . قيل : من يا رسول الله ؟ قال : من أدرك والديه عند الكبر أو أحدهما ثم لم يدخل الجنة » . (رواه مسلم)

ومعنى رغم أنفه : أى لصق بالرغام وهو التراب .

وصلى الله وسلم على من قال : « **من لا يَرْحم لا يُرحم** » وقال : « **لا تنزع الرحمة إلا من شقى** » .

وعن جابر يعنى ابن سمرة رضى الله عنه قال : صعد النبى ﷺ المنبر فقال : آمين آمين آمين . قال : « **أتانى جبريل عليه السلام فقال : يا محمد من أدرك أحد أبويه فمات فدخل النار فأبعده الله فقل آمين فقلت : آمين . فقال : يا محمد من أدرك شهر رمضان فمات فلم يغفر له فأدخل النار فأبعده الله فقل آمين فقلت : آمين . قال : ومن ذكرت عنده فلم يصل عليك فمات فدخل النار فأبعده الله فقل آمين فقلت : آمين** » .

(رواه الطبرانى بأسانيد أحدها حسن ورواه ابن حبان فى صحيحه من حديث أبى هريرة إلا أنه قال فيه : « **ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرهما فمات فدخل النار فأبعده الله قل آمين ، فقلتُ : آمين** ») .

نسأل الله أن يوفقنا إلى ما يحبه ويرضاه فى الدنيا والآخرة وأن يسبغ علينا نعمه ظاهرة وباطنة وأن يرزقنا شكره حتى نكون أهلا لكل زيادة فى الخير .

عبد الحميد كشـك

إرشـــاد العبـــاد

أحرص الناس بالأمة رسولها محمد ﷺ وأرأف الناس بالناس وأرحمهم بهم مبعوث العناية الإلهية الذى قال فيه ربه : ﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين** ﴾ .

وقد امتن الله تعالى على عباده بإرساله شمس الهداية الربانية .

قال جل شأنه :

﴿ **لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلو عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين** ﴾ .

فالصادق المعصوم هو الناصح الأمين لهذه الأمة . قال العلى الحكيم :

﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم** ﴾ .

وما عرفت البشرية أكبر من رسول الله ﷺ قلبا ولا أنقى منه سريرة ولا أرحم منه جنانا .

أليس هو القائل عندما احتدمت به الخطوب وادلهمت المحن :

« **اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون** » .

لقد تأدب بأدب القرآن ﴿ **فإن تولوا فقل حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم** ﴾ .

لقد شملت رسالته العالمين بالرحمة .

قال عظمت رأفته وجلت حكمته : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ .

وهذه نماذج من أقواله الكريمة تؤكد صدقه لأمته وحرصه عليهم ورأفته بهم ورحمته الشاملة بهذه الأمة .

جاء فى المسند من حديث بريدة قال : خرج إلينا رسول الله ﷺ يوما فنادى ثلاث مرات : « **يا أيها الناس اتدرون ما مثلى ومثلكم ؟ فقالوا : الله ورسوله أعلم . فقال : إنما مثلى ومثلكم مثل قوم خافوا عدوا يأتيهم فبعثوا رجلا يتراءى لهم فابصر العدو فأقبل لينذرهم وخشى أن يدركه العدو قبل أن ينذر قومه فاهدى بثوبه أيها الناس أتيتم أيها الناس أتيتم ثلاث مرات** » .

وفى صحيح مسلم من حديث جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « **كل ما أسكر حرام وإن على الله عز وجل عقدا لمن شرب المسكر أن يسقيه من طينة الخبال . قيل : وما طينة الخبال . قال : عرق أهل النار أو عصارة أهل النار** » .

وفى المسند أيضا من حديث أبى ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « **إنى أرى ما لا ترون وأسمع ما لا تسمعون أطت السماء وحق لها أن تئط ما فيها موضع أربع أصابع إلا وعليه ملك يسبح الله ساجدا . لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا وما تلذذتم بالنساء على الفرش ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله تعالى** » . قال أبو ذر : والله لوددت أنى شجرة تُعْضَد .

وفى المسند أيضا من حديث حذيفة قال : كنا مع رسول الله ﷺ فى جنازة فلما انتهينا إلى القبر قعد على ساقيه فجعل يردد بصره فيه ثم قال : « **يضغط المؤمن فيه ضغطة تزول منها حمائله ويملأ على الكافر ناراً** » والحمائل : عروق الأنثيين .

وفى المسند أيضا من حديث جابر قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى سعد بن معاذ حين توفى فلما صلى عليه رسول الله ﷺ ووضع فى قبره وسوى عليه سبح رسول الله ﷺ فسبحنا طويلاً ثم كبر فكبرنا فقيل : يا رسول الله لم سبحت ثم كبرت ؟ فقال : « **لقد تضايق على هذا العبد الصالح قبره حتى فرج الله عنه** » .

وفى صحيح البخارى من حديث أبى سعيد قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت قدمونى وإن كانت غير صالحة قالت يا ويلها أين تذهبون بها يسمع صوتها كل شىء إلا الإنسان ولو سمعها الإنسان لصعق** » .

وفى مسند أحمد من حديث أبى أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « **تدنو الشمس يوم القيامة على قدر ميل ويزاد فى حرها كذا وكذا تغلى منها الرؤوس كما تغلى القدور يعرقون فيها على قدر خطاياهم منهم من يبلغ إلى كعبه ومنهم من يبلغ إلى ساقيه ومنهم من يبلغ إلى وسطه ومنهم من يلجمه العرق** » .

وفيه عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال : « **كيف أنعم وصاحب القرن قد التقم القرن وحنى جبهته يسمع متى يؤمر فينفخ . فقال أصحابه : كيف نقول ؟ قال : قولوا : حسبنا الله ونعم الوكيل على الله توكلنا** » .

والمراد بالقرن : الصور وصاحب القرن هو إسرافيل وهو الملك الموكل بالنفخ .

قال تعالى : ﴿ **ونفخ فى الصور فصعق من فى السماوات ومن فى الأرض إلا من شاء الله ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون واشرقت الأرض بنور ربها ووضع الكتاب وجىء بالنبيين والشهداء وقضى بينهم بالحق وهم لا يظلمون ووفيت كل نفس ما عملت وهو أعلم بما يفعلون** ﴾ .

فيا أخى :

تزود من التقوى فإنك لا تدرى ... إذا جن ليل هل تعيش إلى الفجر

فكم من فتى أمسى وأصبح ضاحكا   وقد نسجت أكفانه وهو لا يدرى
وكم من عروس زينوها لزوجها   وقد قبضت أرواحهم ليلة القدر
وكم من صغار يرتجى طول عمرهم   وقد أدخلت أجسادهم ظلمة القبر
وكم من صحيح مات من غير علة   وكم من سقيم عاش حينا من الدهر

ورب غافل عن الموت والموت يطلبه ورب ضاحك ملء فيه لا يدرى آلله راض عنه أم ساخط عليه .

فأعجب معى لغافل وليس بمغفول عنه أن الله لا يخفى عليه شىء فى الأرض ولا فى السماء هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف يشاء لا إله إلا هو العزيز الحكيم فاللهم إنا نسألك علما ينفعنا وعملاً يرفعنا .

عبد الحميد كشك

الرحمة فى الإسلام لا حدود لها بل إنها تتجاوز كل الحدود حتى إنك لتعجب عندما ترى أعرابيا يدعوا الله فى المسجد فيقول : اللهم أرحمنى ومحمداً ولا ترحم أحداً سوانا فيقول له المصطفى ﷺ :

« **يا أعرابى لقد حجرت واسعا** » أى ضيقت رحمة الله التى وسعت كل شىء فهذا هو رسول الرحمة الذى يروى عن رب العزة فى الحديث القدسى : « **أنا الله وأنا الرحمة وقد شققت للرحم اسما من اسمى فمن وصلها وصلته ومن قطعها قطعته** » .

إن الرحمة بالخلق جميعا أمر يدعو إليه الإسلام ويرغب فيه .

فمن أراد أن يضع رصيده فى بنك الرحمن جل جلاله فليكن هذا الرصيد رحمة بخلق الله .

قيل لمحمد بن كعب القرزى وهو على فراش الموت وكان ذا ثراء عريض : ماذا أدخرت لأولادك ؟ فقال بلسان اليقين ومنطق الحق المبين بلغة الواثق ثقة لا حدود لها فى مبدع الأكوان وخالق الإنسان :

(ادخرت مالى لنفسى عند ربى وادخرت ربى لأولادى) .

لقد وضع أستاذ الإنسانية الأكبر وقائد المسلمين الأعظم وضع الحقيقة كلها كاملة فى جلاء ووضوح فشخص الداء ووصف الدواء .

يقول صاحب الرسالة العصماء :

« **ما الفقر أخشى عليكم ولكنى أخشى أن تفتح عليكم الدنيا بعدى فينكر بعضكم بعضا وينكركم أهل السماء عند ذلك فمن صبر واحتسب**

ظفر بكمال ثوابه » ثم تلا قوله تعالى : ﴿ **ما عندكم ينفد وما عند الله باق ولنجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون** ﴾ .

نعم !

ما عندكم ينفد فالمال لا أمان له والدهر ولو صفا لا أمان له . أما ما عند الله فإنه يزيد ويضاعف .

قال عز من قائل : ﴿ **فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون وما آتيتم من ربا ليربوا فى أموال الناس فلا يربو عند الله وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون** ﴾ .

أى الذين يريدون أن يضاعف لهم العمل الصالح يوم القيامة .

فاعجب معى لمن يؤمن بالموت ثم هو يفرح .

واعجب معى لمن يؤمن بالنار ثم هو يضحك .

واعجب معى لمن يؤمن بالحساب غدا ثم هو يغفل . واعجب معى لمن يؤمن بالرزق ثم هو ينصب . واعجب معى لمن رأى الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن قلبه إليها .

واعجب معى لغافل وليس بمغفول عنه .

واعجب معى لمؤمل فى الدنيا والموت يطلبه .

واعجب معى لضاحك ملء فيه لا يدرى الله راض عنه أم ساخط عليه .

وابك معى لفراق الأحبة محمدٍ وصحبه .

وابك معى لهول المطلع عند سكرات الموت .

وابك معى للوقوف بين يدى الله تعالى لا ندرى اينطلق بنا إلى الجنة أم إلى النار .

القبر باب وكل الناس داخله ... يا ليت شعرى بعد الموت ما الدار
الدار دار نعيم إن عملت بما ... يرضى الإله وإن خالفت فالنار
هما محلان ما للمرء غيرهما ... فانظر لنفسك أى الدار تختار
ما للعباد سوى الفردوس إن عملوا ... وإن هفوا هفوة فالرب غفار

يا غافلا والموت يطلبه أوما علمت أنه يوم يموت ابن آدم يصاب بمصيبتين لا طاقة له بهما أولاهما أنه يترك ماله كله والأخرى أنه يُسأل عنه كله .

إن الله تعالى ملأ قلوب المؤمنين طمأنينة وثقة وهو يقرر تلك الحقائق : ﴿ **الله الذى خلقكم ثم رزقكم ثم يميتكم ثم يحييكم هل من شركائكم من يفعل من ذلكم من شىء سبحانه وتعالى عما يشركون** ﴾ .

قف أمام محراب هذا النص الكريم وكيف جاء بالتعبير القرآنى عن الخلق والرزق بصيغة الماضى ليمتلىء قلبك ثقة بأن الله تعالى كما سبق فى علمه أن يخلق فقد ثبت فى علمه أنه قرر الرزق مقترنا بتقرير الخلق .

لا تعجلن فليس الرزق بالعجل ... الرزق فى اللوح مكتوب مع الأجل
فلو صبرنا لكان الرزق يطلبنا ... لكنه خلق الإنسان من عجل

فلو ركب ابن آدم الريح فرارا من رزقه لركب الرزق البرق حتى يقع فى فم ابن آدم فما قدر على فكيك أن تمضغاه فلابد أن تمضغاه فامضغه بعزه

﴿ **وفى السماء رزقكم وما توعدون فورب السماء والأرض إنه لحق مثلما أنكم تنطقون** ﴾ .

هكذا جاء التعبير عن الخلق والرزق بصيغة الماضى وجاء بشأن الإماتة والاحياء بصيغة المستقبل ثم يميتكم ثم يحييكم . إن المجتمع الذى هو جدير بأن يرحمه الله هو الذى وصفه الله تعالى بقوله : ﴿ **والعصر إن الإنسان لفى خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر** ﴾ أركان أربعة يقوم عليها بنيان هذا المجتمع : إيمان وعمل صالح وحق وصبر فلو تراحم الناس ما كان بينهم جائع ولا عريان ولا مغبون ولا مهضوم ولأقفرت الجفون

من المدامع ولأطمأنت الجنوب فى المضاجع ولمحت الرحمة الشقاء من المجتمع كما يمحو نور الصبح مداد الظلام .

فيا أيها السعداء أحسنوا إلى البائسين والفقراء وامسحوا دموع الأشقياء وارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء .

عبد الحميد كشـك

تعرف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة . هذا أثر شريف وحديث صحيح ونص صريح ووعد صادق غير مكذوب وهل كان الثلاثة الذين أخبرنا عنهم الصادق المعصوم إلا رجالا تعرفوا إلى الله تعالى فى الرخاء فعرفهم سبحانه فى الشدة . وهل كان تعرفهم إلى الله فى الرخاء إلا مواقف تنطق بالرحمة وتفيض بالبر وتعلن بالصدق ونبل الشعور وحميد السجايا وكرائم الشمائل . وهل كانت تلك المواقف إلا أخلاقا أرق من النسيم وانضر من صفحة الروض الوسيم .

فتعال معى لننصت فى خشوع إلى ما جاء فى هذا الحديث الشريف :

روى البخارى رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « **بينما ثلاثة نفر يتماشون أخذهم المطر فمالوا إلى غار فى الجبل فانحطت على فم غارهم صخرة من الجبل فاطبقت عليهم فقال بعضهم لبعض : انظروا أعمالاً عملتموها لله عز وجل صالحة فادعوا الله بها لعله يفرجها فقال أحدهم : اللهم انه كان لى والدان شيخان كبيران ولى صبية صغار كنت أرعى فإذا رحت عليهم فحلبت لهم بدأت بوالدى اسقيهما قبل ولدى وأنه نأى الشجر فما أتيت حتى أمسيت فوجدتهما قد ناما فحلبت كما كنت أحلب فجئت بالحلاب فقمت عند رءوسهما أكره أن أوقظهما من نومهما وأكره أن أبدأ بالصبية قبلهما والصبية يتضاعون عند قدمى فلم يزل ذلك دأبى ودأبهم حتى طلع الفجر فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج لنا فرجة نرى منها السماء ففرج الله عز وجل لهم حتى رأوا منها السماء** » .

ومعنى فانحطت أى نزلت . ومعنى يفرجها : أى يزيلها ويوسعها .

وعن أبي هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **خرج ثلاثة فيمن كان قبلكم يرتادون لأهلهم فاصابتهم السماء فلجئوا إلى جبل فوقعت عليهم صخرة فقال بعضهم لبعض : عفا الأثر ووقع الحجر ولا يعلم بمكانكم إلا الله فادعوا الله بأوثق أعمالكم . فقال أحدهم : اللهم إنك تعلم أنه كان لى امرأة تعجبنى فطلبتها فأبت علىّ فجعلت لها جُعْلا فلما قربت نفسها تركتها فإن كنت تعلم أنى إنما فعلتُ ذلك رجاء رحمتك وخشية عذابك فافرج عنا فزال ثلث الحجر . وقال الآخر : اللهم إنك كنت عليه أنه كان لى والدان وكنت أحلب لهما فى إنائهما فإذا أتيتهما وهما نائمان قمت حتى يستيقظا فإذا استيقظا شربا فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك رجاء رحمتك وخشية عذابك فافرج عنا فزال ثلث الحجر . وقال الثالث : اللهم إنك تعلم أنى استأجرت أجيرا يوما فعمل لى نصف النهار فأعطيته أجرا فسخطه ولم يأخذه فوفرتها عليها حتى صار من كل المال ثم جاء يطلب أجره فقلت : خذ هذا كله ولو شئت لم أعطه إلا أجره الأول . فإن كنت تعلم أنى فعلت ذلك رجاء رحمتك وخشية عذابك فأفرج عنا فزال الحجر وخرجوا يتماشون** » . (رواه ابن حبان فى صحيحه)

إن هذا الحديث يعتبر مدرسة أخلاقية اشتملت على القيم العليا والمثل الرفيعة رأينا فيها البر والرحمة والعفة والنبل .

رأينا فيها البر بالوالدين فى أعظم صورة وأجلى معنى ورأينا فيها العفة عندما تنزع النفس إلى مسالك الرذيلة ورأينا فيها الوفاء والأمانة وحسن المعاملة مع الأجراء واستثمار المال بالطريق الصحيحة .

إن المكارم أخلاق مطهـرة ... الدين أولها والعقل ثانيهـا
والعلم ثالثها والحلـم رابعهـا ... والجود خامسها والفضل سادسها
والبر سابعها والشكر ثامنهـا ... والصبر تاسعها واللين باقيهـا
والنفس تعلم أنى لا أصادقها ... ولست أرشد إلا حين أعصيهـا

إن المجتمع الحقيق برحمة الله الجدير بحلمه ولطفه مجتمع يقوم على ستة أركان :

أولها : ولاية بعضه بعضا ولاية محبة ونصرة ووفاء .

وثانيها : أمر بالمعروف .

وثالثها : نهى عن المنكر .

ورابعها : أقام الصلاة .

وخامسها : إيتاء الزكاة .

وسادسها : طاعة الله ورسوله .

وقد اجتمعت تلك الأركان فى قول الله تبارك اسمه : ﴿ **والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله** ﴾ .

لقد استحق هذا المجتمع الطاهر العفيف النظيف استحق رحمة الله بمقتضى وعده .

قال تعالى : ﴿ **أولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم** ﴾ . عزيز لا يغلب . حكيم تنزه عن العبث يضع الأمور فى نصابها ولا يظلم الناس شيئا .

أما الوعد الآخر ففى دار تجمع سلامة الأبدان والأديان فى روضات الجنات والرضوان .

﴿ **وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ومساكن طيبة فى جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم** ﴾ .

رضاك خير من الدنيا وما فيها ... يا مالك النفس قاصيها ودانيها
فليس للنفس آمال تحققها ... سوى رضاك فذا أقصى أمانيها
فنظرة منك يا سؤلى ويا أملى ... خير إلى من الدنيا وما فيها

إن الله تبارك اسمه أمر بالتواصى بالصبر والمرحمة فقال : ﴿ **ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة أولئك أصحاب الميمنة** ﴾ .

وأول أساس يجب أن يبنى على الرحمة الأسرة لذا كان البر بالوالدين من أعظم القربات عند الله تعالى .

عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : « **جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله من أحق الناس بحسن صحابتى ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أمك . قال : ثم من ؟ قال : أبوك** » . (رواه البخارى ومسلم)

فاللهم إنا نسألك الهدى والتقى والعفاف والغنى والنجاة يوم الحشر والظل يوم الحرور كما نسألك عيش السعداء وموت الشهداء ودار السلام مع الأتقياء . وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

عبد الحميد كشــك

إذا كانت الرحمة بالمسكين وابن السبيل والأرملة والمصاب شرطا من شروط قبول الصلاة فإن الله جل جلاله أثنى على نفسه بالرحمن الرحيم بعد إثبات العلم والوحدانية له تعالى فقال : ﴿ **هو الله الذى لا إله إلا هو عالم الغيب والشهادة هو الرحمن الرحيم** ﴾ .

وإذا كان ذلك كذلك فإن الكتاب الذى أنزله على مبعوث العناية الإلهية شفاء ورحمة .

قال تعالى : ﴿ **وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين** ﴾ . كما أن رسوله الكريم هو الرحمة المهداة والنعمة المسداة .

قال تعالى : ﴿ **وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين** ﴾ .

وقال جل شأنه :

﴿ **لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم** ﴾ .

وقال تعالى شأنه وكماله :

﴿ **فبما رحمة من الله لنت لهم ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم فى الأمر فإذا عزمت فتوكل على الله إن الله يحب المتوكلين** ﴾ .

وإنك يا أخى : لتأخذك الدهشة ويستولى عليك العجب عندما تقف أمام هذا المشهد المهيب يوم الطائف وقد أخذت الحجارة تنهال من الصبيان

والسفهاء على شمس الهداية الربانية حتى دميت قدماه الشريفتان وصدرت الأوامر من القيادة العليا إلى كبير أمناء وحى السماء وسفير الأنبياء جبريل فجاب الآفاق وطوى بأجنحته السبع الطباق والتقى بأمير الوحى والسماء وعرض عليه إن شاء أن يطبق عليهم الأخشبين فماذا كان رد صاحب القلب الرحيم والخلق العظيم فى ساعة العسرة والخطوب قد أدلهمت والإحن قد احتدمت حتى يظن العقلاء أن مرجل الغضب قد اشتد غليانه ويوشك أن ينفجر ولم يبق فى قوس الصبر منزع وبلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطبيين ماذا كان ينتظر الأمين جبريل من رسول الله ﷺ .

إن الرجال مواقف والمواقف تتجلى بالشدائد حيث تنصهر فى بوتقة المحن .

قال الرسول الكريم : « **يا جبريل إنى لأرجو أن يخلق الله من ظهورهم من يقول لا إله إلا الله** » ثم انفرجت شفتاه فقال بلسان اليقين ومنطق الحق المبين : « **اللهم اهد قومى فإنهم لا يعلمون** » .

فانظر إلى تلك الرحمة التى انسابت من القلب الرحيم كأنها أبواب السماء انفتحت بماء منهمر أو كأنها الأرض فجرت عيونا فالتقى الماء على أمر قد قدر .

إنها كلمات قد نبعت من قلب عرفه العالم شرقا وغرباً .

إنها كلمات كأنها قد تدفقت من عليا الجنان جداول رقراقة فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى .

فماذا تتوقع من الأمين جبريل أن يعقب به على دعوة صاحب الحق المبين .

لقد قال له كلمة حق أصبحت مثلا وأصبح الجيل بعد الجيل يرويها .

قال الأمين : (صدق من سماك الرءوف الرحيم) .

نعم صدقت يا جبريل وصدق من أرسلك وصدق من أرسلت إليه .

إنه صاحب القلب الذى يفيض رحمة وحنانا الذى يقول : « **الساعى على الأرملة أو المسكين كالمجاهد فى سبيل الله أو القائم الليل الصائم النهار** » .

إن الرحمة فى هذا الحديث عبادة ولقد بلغ من رفعة هذه العبادة أن الله تعالى تكفل للرحماء بالرحمة « **فالراحمون يرحمهم الرحمن** » . « **ارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء** » و« **لا تنزع الرحمة إلا من شقى** » و« **من لا يرحم لا يُرحم** » .

يا سيدى إنا نسير بقفـرة — زاد الهجير بها وقـل المـــاء
يا سيدى كن للنجــاة شفيعنا — يا خير من شهدت له الشفعاء

إن الرحمة هى الصفة البارزة فى أصحاب رسول الله لأنها تجلت وتألقت فى أستاذنا الأكبر وصاحب الرسالة العصماء وقائد المسلمين الأعظم فنهلوا من منهله العذب المورود وارتووا من سلسبيله ﴿ **محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم** ﴾ ذلك لأنهم التقوا فى الرحاب الطاهرة والبقاع المباركة والساحات الطيبة . ألتقوا فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه فعرفوا لتلك البيوت حقها ﴿ **يسبح له فيها بالغدو والآصال رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار** ﴾ .

قيل للنبى ﷺ : ما خير البقاع فى الأرض ؟ قال : لا أدرى حتى اسأل أخى جبريل . فلما سأل جبريل قال : لا أدرى حتى اسأل رب العزة ثم هبط على الصادق المعصوم وقال له : يا رسول الله السلام يقرؤك السلام ويقول لك : « **خير البقاع فى الأرض المساجد وخير أهلها أولهم دخولا وآخرهم خروجا** » . من أجل ذلك فإن الله تعالى وصف رسوله وأصحابه بقوله : ﴿ **تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا سيماهم فى وجوههم من أثر السجود** ﴾ إنهم أصحاب الأيدى المتوضئة النظيفة الطاهرة – فاللهم أهدنا كما هديتهم وألحقنا بهم على خير حال وأجمع بيننا وبينهم فى مستقر رحمتك.

عبد الحميد كشــك

الرحمة هى القاسم المشترك الأعظم فى كل ما بعث به الرحمة المهداة والنعمة المسداة نبى البر وإمام الهدى رسول الله ﷺ فكلمة التوحيد رحمة ﴿ **وإلٰهكم إلٰه واحد لا إله إلا هو الرحمن الرحيم** ﴾ .

ومبعوث العناية الإلٰهية رحمة للعالمين .

والقرآن العظيم فيه شفاء ورحمة .

وأصحاب محمد رحماء بينهم .

ونحن بصدد الحديث عن جانب من جوانب الرحمة ونعنى بذلك الجانب هذه الدعوة الكريمة التى لقنها الله عباده أداء لحق الوالدين حيث قال سبحانه : ﴿ **وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا** ﴾ .

إنها دعوة تفيض جمالا وبرا وكمالا وتشع ضياء ونورا وبهاءً .

فللوالدين فى الإسلام مملكة على تاجها تتربع الرحمة لتملأ القلوب بهما حنانا وبراً .

قال تعالى فى شأن يحيى عليه السلام :

﴿ **وبرا بوالديه ولم يكن جباراً عصيا** ﴾ .

وقال فى شأن المسيح عليه السلام :

﴿ **وبرا بوالدتى ولم يجعلنى جباراً شقيا** ﴾ .

وها هو ذا خليل الرحمن يدعو أباه إلى عبادة الواحد الديان بلسان يفيض أدبا ويسيل رقة وينساب خلقا :

﴿ **واذكر فى الكتاب إبراهيم إنه كان صديقا نبيا إذ قال لأبيه يا أبت لم تعبد ما لا يسمع ولا يبصر ولا يغنى عنك شيئا** ﴾ .

ثم اصغ سمعك لهذا الأدب الرفيع لم يقل له : يا أبت إنك جاهل . إنما قال له بتلك الكناية الرائعة : ﴿ **يا أبت إنى قد جاءنى من العلم ما لم يأتك فاتبعنى اهدك صراطا سويا** ﴾ .

ثم يضىء أمامه النور الأخضر يسرى سريان الماء فى الغصن الرتيب فتنصهر به كلمات إبراهيم كما تنصهر أسلاك البلاتين عندما يسرى فيها التيار الكهربائى ينير له الطريق فيخاطبه هكذا : ﴿ **يا أبت لا تعبد الشيطان إن الشيطان كان للرحمن عصيا** ﴾ .

وتأمل معى كيف اختار إبراهيم من أسماء الله الحسنى اسم الرحمن ﴿ **إن الشيطان كان للرحمن عصيا** ﴾ ليبعث فى النفس بشير الرحمة ودلائل البر والصلة . ثم ينتقل بعد ذلك إلى أدب الاشفاق والخوف عليه والحرص على هدايته ﴿ **يا أبت إنى أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا** ﴾ .

واعجب لتعبير الخليل : ﴿ **إنى أخاف أن يمسك** ﴾ إنه يخشى عليه من أقل لفحة من عذاب الله الرحمن الذى وسعت رحمته كل شىء . ألم أقل من قبل أن الرحمة هى القاسم المشترك الأعظم الذى شمل كل نواحى الإسلام حتى الحدود والقصاص والتعزير والعقوبات كلها رحمة بالمجتمع فقد شرعها الله جوابر ومكفرات للذنوب .

السارق إذا تاب سبقته يده إلى الجنة فإذا لم يتب سبقته إلى النار وهى فى نفس الوقت زواجر لذئاب البشر ﴿ **إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون** ﴾ .

قال أحد الزنادقة لأحد علماء المسلمين معترضا على حد السرقة :

يد بخمس مئين عسجد وديت   ما بالها قطعت فى ربع دينـــار

فقال له العالم :

يا هذا :

عز الأمانة أغلاها وأرخصهـا — ذل الخيانة فافهم حكمه البارى

يا هذا إنها لما كانت أمينة كانت ثمينة فلما خانت هانت . إن من رحمة الله تعالى أن أمر بقطع يده لا بقطع عنقه .

إنه ذئب يروع الآمنين ويسطوا على الأعراض والأموال ويفزع الأجنة فى بطون الأمهات أضف إلى ذلك بقية الحدود من شرب وقذف واعتداء على الأعراض وردة وبغى وحرابة لطالما ارتفعت أصوات الباطل تزمجر فى عرصات الدنيا وتشترى لهو الحديث بغير علم لتضل عن سبيل الله . وكم تعثرت أقدام وزلت أقلام وانفلت خيال الكاتبين الذين يجادلون فى الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير . سخروا أقلامهم للدفاع عن أهل الفسق والعصيان .

ويرحم الله الرافعى وقد سئل كيف ترجمون الزانى ؟

فقال على جناح السرعة : لأنه هدم بيتا فيرجم بحجارته .

إن الله حكم عدل مقسط عليم بما يصلح أحوال العباد فى معاشهم ومعادهم : ﴿ **إنه عليم بذات الصدور** ﴾ ﴿ **ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير** ﴾ .

وقمة المأساة بل الملهاة أن يزين الشيطان للمرء سوء عمله فيراه حسنا .

قال جل شأنه :

﴿ **إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير الذين كفروا لهم عذاب شديد والذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة وأجر كبير أفمن زين له سوء عمله فرآه حسنا** ﴾ .

ولقد كان هدهد سليمان راجح العقل صائب الرأى عندما أخبر عن ملكة سبأ فقال : ﴿ **رأيتها وقومها يسجدون للشمس من دُون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون** ﴾ .

إنه غضبان وغضبته لله لا رغبة فى مغنم قريب أو بعيد أو منصب زائل أو عرض يفنى .

﴿ ألا يسجدوا لله الذى يخرج الخبء فى السماوات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم ﴾ .

سبحانك ربى :

يا من يرى مد البعوض جناحه	فى ظلمة الليل البهيم الأليل
ويرى نياط عروقها فى نحرها	والمخ فى تلك العظام النحل
ويرى ويسمع ما يرى ما دونها	فى قاع بحر زاخر متجندل

فالله يدرى كل ما تضمر	يعلم ما تخفى وما تظهر

وإن خدعت الناس لم تستطع خداع من يطوى ومن ينشر . فانظر إلى عظمة الإسلام وبهائه وكماله وجلاله وجماله .

أسأل الله أن ينفعنا بما علمنا وأن يعلمنا ما ينفعنا . اللهم ارزقنا علما ينفعنا وعملا يرفعنا .

عبد الحميد كشك

ما زال الحديث يدور حول الرحمة فى قوله تعالى : ﴿ **وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا** ﴾ .

والتأدب مع الوالدين ضرب من ضروب الرحمة ولنا فى خليل الرحمن أسوة حسنة وقدوة طيبة .

لما قال له أبوه : ﴿ **أراغب أنت عن آلهتى يا إبراهيم لئن لم تنته لأرجمنك واهجرنى مليا** ﴾ .

ماذا تقول فى هذا الأسلوب ؟

إنه تهديد ووعيد تلمح فيه البروق والرعود والرياح القاصفة العاصفة التى ما تذر من شىء أتت عليه إلا جعلته كالرميم .

إن الرجل قد ارغى وأزبد وهدد وأوعد .

أوعد بالرجم . وما أدراك ما هو ؟ كما أمر بالهجر الطويل إنه موقف يدعو إلى الأسى والأسف إذا ما قارنته بموقف الخليل . لقد قال له : ﴿ **يا أبت إنى إخاف أن يمسك عذاب من الرحمن فتكون للشيطان وليا** ﴾ .

نعم إنه موقف تنخلع له قلوب الأسود وتنفطر من هوله مرائر النمور لاسيما إذا سمعت رد الخليل على هذا التهديد :

﴿ **قال سلام عليك ساستغفر لك ربى إنه كان بى حفيا** ﴾ .

هذا هو الفرق الشاسع والبون البعيد بين منطق الباطل ومنطق الحق المبين .

إنه الخليل الذى قال له ربه فى حديثه الجليل : (يا خليلى حسن خلقك ولو مع الكفار تدخل مدخل الأبرار فإن كلمتى سبقت لمن حسن خلقه أن اسقيه من حظيرة قدسى وأن أدخله دار كرامتى وأظله بظلى) .

لقد وفى إبراهيم بوعده فجاء فى دعائه : ﴿ **رب هَبْ لى حكما والحقنى بالصالحين واجعل لى لسان صدق فى الآخرين واجعلنى من ورثة جنة النعيم واغفر لأبى إنه كان من الضالين** ﴾ .

وظل كذلك إلى أن فصل الحكيم العليم فى القضية : ﴿ **ما كان للنبى والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم** ﴾ .

ومن ثم فإن بر الأبناء للآباء شجرة طيبة أصْلها ثابت وفرعها فى السماء .

إنه باسقة تناطح الجوزاء وتزاحم الشمس فى الجلاء ضاربة بجذورها فى أعماق الأرض حتى تشمل الأبناء إلى ما لا يعلم مداه إلا الله .

فالبر لا يبلى والذنب لا ينسى والديان لا يموت اعمل ما شئت كما تدين تدان .

قال ﷺ : « **بروا آباءكم تبركم أبناؤكم وعفوا تعف نساؤكم** » .

وقد تجلى ذلك فى أروع صورة وأعلى حقيقة بين إبراهيم وابنه إسماعيل فى هذا المشهد المهيب الذى قصه علينا العزيز الحكيم فى قوله حكاية عن إبراهيم وإسماعيل :

﴿ **وقال إنى ذاهب إلى ربى سيهدين رب هب لى من الصالحين فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعى قال يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى . قال يا أبت افعل ما تؤمر ستجدنى إن شاء الله من الصابرين** ﴾ .

منتهى الطاعة وغاية البر .

إبراهيم رأى ورؤيا الأنبياء وحى وعرض ما رأى على ابنه قال بلسان الأبوة الحانية : ﴿ **يا بنى إنى أرى فى المنام أنى أذبحك فانظر ماذا ترى** ﴾ قال إسماعيل بلسان البنوة البارة المؤدبة : ﴿ **يا أبت أفعل ما تؤمر** ﴾ إن كان هناك أشد من الذبح فافعل فأنا فداء لطاعة الله ﴿ **ستجدنى إن شاء الله من الصابرين** ﴾ .

وينتقل الحديث من مجال الكلام إلى حيز الفعل ﴿ **فلما أسلما وتله للجبين** ﴾ أى طرحه على جبينه ليذبحه من قفاه وأمسك بالسكين ووضعها على مكان الذبح لم تؤثر فيه شيئا .

فالخليل يريد أن يذبح ولكن الجليل يريد ألا تذبح . ونودى إبراهيم : ﴿ **قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزى المحسنين إن هذا لهو البلاء المبين وفديناه بذبح عظيم** ﴾ .

لقد جاب جبريل الآفاق وطوى بأجنحته السبع الطباق مكبرا (الله أكبر الله أكبر الله أكبر) فقال الخليل : (لا إله إلا الله والله أكبر) . فقال الذبيح : (الله أكبر ولله الحمد) فصار هذا تكبيراً نزين به أعيادنا .

إن هذا المشهد المهيب يلقن البشرية دروسا فى العقيدة والتربية . أما العقيدة فالاستسلام لأمر الله مهما كان الثمن غاليا فإن طاعة الله دونها كل شىء ﴿ **إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا وأولئك هم المفلحون ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويتقه فأولئك هم الفائزون** ﴾ .

هذا مجال العقيدة ﴿ **إنى أرى فى المنام أنى أذبحك** ﴾ وقد تأخذك الدهشة ويستولى عليك العجب عندما تعلم أن إسماعيل الذبيح كان يومها الولد الوحيد لإبراهيم والذى رزقه على الكبر وقد امتلأ قلبه شوقا إلى الذرية لكن إذا كان الأمر من الله هان المال والبنون ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم وجانب التربية بين الأب وابنه يقوم على حسن العرض بالمنطق السديد والعقل الرشيد ﴿ **فانظر ماذا ترى** ﴾ ثم بعد ذلك يأتى الأدب الرفيع الذى ينساب فى أخلاق أرق من النسيم وانضر من صفحة الروض

الوسيم ﴿ **يا أبت أفعل ما تؤمر** ﴾ إنه الاستسلام المطلق الذى لا يقبل جدلا ولا حواراً ﴿ **ستجدنى إن شاء الله من الصابرين** ﴾ والصبر هو احتمال الكد وثبات باعث الدين فى مقابل باعث الشهوات ومقاومة النفس الهوى .

فاللهم ارزقنا لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وبدنا على البلاء صابرا وعملا متقبلا .

عبد الحميد كشــك

إرشـــاد العبـــاد

عجيب أمر هذا الإسلام إنه البر كله والخير والصلة والتواصى بالحق والتواصى بالصبر أليست رسالته رحمة للعالمين .

أليس هو الذى علم البشرية كيف الطريق إلى الله رب العالمين .

أليس أتباعه وأبطاله ورجاله من المهاجرين والأنصار والذين جاءوا من بعدهم من الذين أثنى عليهم القرآن الثناء الجميل .

لقد عرفوا الايثار ونبذوا الأثرة وسلكوا طريق الخير وطاردوا الشر فى كل مكان واتخذوا من المحبة فى الله سياجا منيعا يمنعون به خطوات الشيطان .

لقد قال الله تعالى فى المهاجرين منهم : ﴿ **للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون** ﴾ .

وإذا كانوا هم أهل الصدق فإن الله أمرنا جميعا أن نكون معهم حيث قال : ﴿ **يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾ .

كما أثنى على الأنصار منهم حيث قال جل شأنه : ﴿ **والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون** ﴾ .

كأن هذه الآية عقد فريد انتظم جميع الجواهر الكريمة من اللؤلؤ والمرجان :

تبوءوا الدار والإيمان يحبون من هاجر إليهم . لا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا . يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة .

أكان هؤلاء بشرا أم كانوا ملائكة؟ كانوا بشرا ولكن لا ككل البشر وإن شئت فقل كانوا ملائكة البشر لأن الذى رباهم كان بين الناس رجلا وكان بين الرجال بطلا وكان بين الأبطال مثلا إنه محمد محرر العبيد الذى جعل منهم سادة ومن المستضعفين أساتذة وقادة .

لقد قاد المسيرة حتى لقد أثنى الله تعالى على الذين جاءوا من بعدهم حيث أظهر لنا كرم أخلاقهم ونبل شمائلهم وسماحة أنفسهم وسلامة صدورهم .

قال عز من قائل :

﴿ والذين جاءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رءوف رحيم ﴾ .

إنهم لم يتخرجوا فى جامعات الشرق أو الغرب إنما تخرجوا فى جامعة فيها العميد المصطفى لا يلحق . تخرجوا فى بيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه حيث تم الارتباط بين البيت والمسجد . كان البيت أساسه التقوى وكان المسجد أساسه التقوى فالتقى الاثنان على أمر قد قدر . كانت الأسرة ترفرف عليها رايات الرحمة والبر . وكان ذلك القاسم المشترك بين الآباء والأبناء .

اسمع إلى هذا السؤال الذى يفيض رحمة وحنانا وينم عن نفس مطمئنة راضية مرضية ملهمة كاملة .

عن أبى أسيد مالك بن ربيعة الساعدى رضى الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاء رجل من بنى سلمة فقال : يا رسول الله هل بقى من بر أبوى شىء أبرهما به بعد موتهما ؟ قال : « **نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التى لا توصل إلا بهما وإكرام صديقهما** » . (رواه أبو داود وابن ماجه) .

ولم يكن هذا كلاماً تلوكه الألسنة وتتحرك به الشفاه كذلك لم يكن استهلاكا محليا أو استعراضاً للعضلات ليقال إن هذا السائل حريص على بر والديه حتى ولو كانا تحت أطباق الثرى إنما خرج هذا الكلام إلى مجال التطبيق والتنفيذ والسلوك والعمل .

لقد كانوا يتاجرون مع الله وكان رأس مالهم العدل والاحسان وإيتاء ذى القربى واسمع معى إلى هذا الموقف المهيب فى بر الوالدين بعد موتهما .

عن عبد الله بن دينار عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما أن رجلا من الأعراب لقيه بطريق مكة فسلم عليه عبد الله بن عمر وحمله على حمار كان يركبه وأعطاه عمامة كانت على رأسه . قال ابن دينار : فقلنا له : أصلحك الله إنهم الأعرابُ وهم يرضون باليسير فقال عبد الله بن عمر : إن أبا هذا كان ودًّا لعمر بن الخطاب وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إن أبر البر صلة الولد أهل ود أبيه** » . (رواه مسلم)

وعن أبى بردة قال : قدمت المدينة فأتانى عبد الله بن عمر فقال : أتدرى لم أتيتك ؟ قال : قلت : لا . قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من أحب أن يصل أباه فى قبره فليصل إخوان أبيه بعده** » وإنه كان بين أبى عمر وبين أبيك إخاء وود فأحببت أن أصل ذاك .

(رواه ابن حبان فى صحيحه)

أى عظمة تلك وأى جمال هذا بل وأى كمال . ذاك دين يأمر بمصاحبة الوالدين بالمعروف ولو كانا كافرين . قال جل شأنه : ﴿ **ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنا على وهن وفصاله فى عامين أن اشكر لى ولوالديك إلى المصير وإن جاهداك على أن تشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما وصاحبهما فى الدنيا معروفا واتبع سبيل من أناب إلى ثم إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون** ﴾ .

اقرأ هاتين الآيتين مرة أخرى بلسان اليقين وعين البصيرة ومنطق الحق المبين وارجع البصر فيهما هل ترى من قصور : ووصينا الإنسان بوالديه ثم

أشكر لى ولوالديك ثم وإن جاهداك على أن تشرك بى . أتدرك ما المجاهدة إنها بذل الطاقة واستفراغ الوسع حتى يبلغ الإنسان مراده . ولم يقل وإن أمراك أن

تشرك بى وإنما وإن جاهداك أليس الشرك إهداراً للتوحيد أليس ذنبا لا يغفر دون بقية الذنوب ﴿ **إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء** ﴾ ومع ذلك يأتى الأمر الكريم من الرب الحليم : ﴿ **وصاحبهما فى الدنيا معروفا** ﴾ .

عن أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت.: قدمت على أمى وهى مشركة فى عهد رسول الله ﷺ فاستفتيت رسول الله ﷺ . قلت : قدمت علىَّ أمى وهى راغبة ، أفأصل أمى ؟ قال : « **نعم صِلِى أمك** » .

(رواه البخارى ومسلم وأبو داود)

فاللهم اغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار واختم لنا بخاتمة السعادة أجمعين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

عبد الحميد كشـك

أعلم أن البر والصلة والصدقة تزيد فى الأعمار وتعمر الديار فما بالك إذا كان هذا البر وتلك الصلة لأقرب الناس إليك وهما والداك اللذان قرن الله تعالى الاحسان إليهما بالأمر بعبادته .

قال جل شأنه :

﴿ وإذ أخذنا ميثاق بنى إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا ﴾ .

وقال : **﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا ﴾** .

وقال : **﴿ وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ﴾** .

وقال : **﴿ إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون أولئك أصحاب الجنة خالدين فيها جزاء بما كانوا يعملون ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا ﴾** .

فانظر إلى مدى الاكرام وكيف قالوا ربنا الله وهى كلمة التوحيد ثم جاء الجزاء بالجنة بين هذا التوحيد وبين التوصية بالوالدين كما قرن الله تعالى شكره بشكرهما فقال : **﴿ أن أشكر لى ولوالديك إلى المصير ﴾** .

وعجيب أمر هذا الكتاب العظيم وأى عجب .

نعم **﴿ وإنك لتلقى القرآن من لدن حكيم عليم ﴾** فكل التوصيات التى فيه بالنسبة للوالدين وأولادهما كلها موجهة إلى الأولاد ولم توجه إحداها إلى الوالدين وذلك لحكمة بالغة السمو والارتقاء فإن الوالدين قد أصبح

الاحسان مركوزا فى الفطر عندهما فليسا فى حاجة إلى توصية . لقد جبل الله الآباء والأمهات على البر والاحسان إلى أولادهم فأصبح هذا الأمر فطرة مركوزة لا تحتاج إلى توصية وما موقف شيخ الأنبياء نوح على نبينا وعليه الصلاة والسلام ما موقفه من ابنه عنا ببعيد . إنه يجلى تلك الفطرة ويظهرها أوضح من الشمس فى ضحاها وأبين من القمر إذا تلاها عندما تحركت عواطف الأبوة فى قلبه ونادى ربه : ﴿ **رب إن ابنى من أهلى وإن وعدك الحق وأنت أحكم الحاكمين** ﴾ .

قال ذلك لرب العالمين بعد أن وقعت المأساة الكبرى : ﴿ **ونادى نوح ابنه وكان فى معزل يا بنى اركب معنا ولا تكن مع الكافرين** ﴾ .

هذا بلسان الأبوة الحانية الصادقة الرحيمة العاطفة التى تفيض برا وصلة ورحمة .

يا بنى هكذا بصيغة التصغير الدال على الرحمة هذه فطرة الأب .

فما كان من الابن إلا أن وقف موقف العقوق وعزه ارتفاع الجبل وظن أن الأمر سيستعصى على القدر .

لقد خدعته عيناه فى هذا الجبل وما كان يدرى أن أوراق القضية كلها فى يد من لا يغفل ولا ينام ﴿ **وما كان الله ليعجزه من شىء فى السماوات ولا فى الأرض إنه كان عليما قديرا . إنما قولنا لشىء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون** ﴾ . ﴿ **إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون فسبحان الذى بيده ملكوت كل شىء وإليه ترجعون** ﴾ . ﴿ **إنا كل شىء خلقناه بقدر وما أمرنا إلا واحدة كلمح بالبصر** ﴾ .

لا الأمر أمرى ولا التدبير تدبيرى ... ولا الشئون التى تجرى بتقديرى
لى خالق رازق ما شاء يفعل بـى ... أحاط بى علمه من قبل تصويرى

قال الابن بلغة العقوق :

﴿ **سآوى إلى جبل يعصمنى من الماء** ﴾ .

قال الأب بلغة الناصح الأمين :

﴿ لا عاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم ﴾ .

وأعد النظر ثم أرجع البصر كرتين فى هذا الحوار : والد يدعو ابنه إلى النجاة فيأبى – ما ضر لو ركب السفينة أليس فيها الأمن والأمان ؟

وكيف آثر صعود الجبل على ركوب سفينة النجاة ؟

إن الفرق بين الأب وابنه فى هذا المقام كالفرق بين بزوغ الفجر وغياهب الظلمات كالفرق بين الهدى والضلال .

كالفرق بين قيظ الهواجر من فيح جهنم وبين نسمات الجنة معطرة بأعراف الشذى ولم يكن الموقف يحتمل أكثر من هذا فإن أجل الله إذا جاء لا يؤخر لو كنتم تعلمون .

ومن نزلت بساحته المنايا   فلا أرض تقيه ولا سماء
وأرض الله واسعة ولكن   إذا حل القضى ضاق الفضاء

وأراد ربك أن يحول بين الأب وابنه بحاجز هو الموج حتى لا يرى الوالد مصرع ابنه . وجاءت كلمة الفصل وأصدرت المحكمة العليا حكمها وهو مبرم لا يقبل الاستئناف ولا النقض والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب **﴿ ما يبدل القول لدى وما أنا بظلام للعبيد ﴾** . **﴿ وحال بينهما الموج فكان من المغرقين ﴾** .

وتأمل معى حال سفينة تجرى بهم فى موج كالجبال علوا وشموخاً وكيف تحولت الأرض إلى بحار ذات أمواج مزمجرة زاخرة وسفينة تشق بصدرها عباب الموج وبعد رسوها على الجودى تصدر القيادة العليا أمرها بانهاء كل ما كان أمر إلى الأرض وآخر إلى السماء وثالث يدل على نهاية المعركة الفاصلة بين المؤمنين الصادقين وإن كانوا قليلا وبين قوى الشر الذى يعربد فى عرصات الدنيا .

اسمع معى إلى بلاغة القرآن وعلو طبقته نعم إنه لفظ حامل ومعنى به قائم ورباط بينهما ناظم ﴿ **وقيل يا أرض ابلعى ماءك ويا سماء أقلعى وغيض الماء وقضى الأمر واستوت على الجودى وقيل بعدا للقوم الظالمين** ﴾ .

فاللهم أرزقنا النجاة فى الدنيا والآخرة .

عبد الحميد كشـك

إرشـــاد العبـــاد

جل جلال الله إذ أوصى بالوالدين وذكر حال الكبر فقال : ﴿ **إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما وقل لهما قولا كريما** ﴾ .

ولنا فى هذا النص الكريم نظرتان أولاهما قوله تعالى : ﴿ **عندك** ﴾ فإنه ظرف يفيد معنى الضيافة إنهما ضيفان ولابد للضيف أن يرتحل ولا بد للضيف أن يكرم .

من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه فإن لم تكرمهما على أنهما والداك فأكرمهما من باب اكرام الضيف .

والنظرة الثانية النص على حال الكبر فإنها تسترعى الرحمة والعطف وحسن الخلق إذ الإنسان فى حال الكبر يكون أولى بالرعاية والعناية وحسبك أن تعلم ما رواه عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ أنه قال : « **رضا الله فى رضا الوالد وسخط الله فى سخط الوالد** » . (رواه الترمذى)

أى هدف يبتغيه الإنسان أعظم من رضا الله وأية غاية أسمى من رضوانه :

رضاك خير من الدنيـــا وما فيها ... يا مالك النفس قاصيها ودانيها
فليس للنفس آمال تحققهـــا ... سوى رضاك فذا أقصى أمانيها
فنظرة منك يا سؤلى ويا أملى ... خير إلى من الدنيا وما فيها

هل هناك حقيقة يسعى الإنسان لنيلها أكرم من أن يلقى الله وهو عنه راض وجل جناب الحق إذ يقول :

﴿ ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم ﴾ .

وإذ يقول : ﴿ رضى الله عنهم ورضوا عنه ﴾ .

سمع الحسن البصرى رضى الله عنه رجلا فى مجلسه يقول :

اللهم ارض عنى

فقال له بلسان اليقين ومنطق الحق المبين

يا هذا : لو رضيت عن الله لرضى الله عنك .

قال الرجل : وكيف ارضى عن الله وأنا أتمنى رضاه . قال تقى الدين الحسن : يوم تسر بالنقمة سرورك بالنعمة فقد رضيت عن الله .

سبحانك ربى :

شعاع من رضاك يطفىء غضب ملوك أهل الأرض ولمحة من غضبك تزهق الروح ولو انغمست فى نعيم الدنيا .

قطرة من فيض جودك تملأ الأرض ريا

ونظرة بعين رضاك تجعل الكافر وليا

يارب حبك فى دمى وكيانى   نور أغر يذوب فى وجدانى
أنا لا أضام وفى رحابك عصمتى   أنا لا أخاف وفى رضاك أمانى

ما بالك بهذا الفضل العظيم الذى يجعل رضا الله تعالى فى رضا الوالد .

ألا تعلم أن هذه تجارة مع الله وأن بر الوالدين رصيد فى بنك مكتوب على بابه :

﴿ ما عندكم ينفد وما عند الله باق وليجزين الذين صبروا أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون ﴾ .

إن هذا المصرف لا يتعامل بالدينار أو الدرهم أو الدولار إنما يتعامل فى خزينة فيها عملة من نوع خاص . هذه العملة قد نقش عليها بيد الفضل والفوز

المبين : ﴿ **ولا تخزنى يوم يبعثون يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم** ﴾ .

يا خالق الكون فى عز وتمكينى ... وكل أمر جرى بالكاف والنون
يا من لطفت بحالى قبل تكوينى ... لا تجعل النار يوم الحشر تكوينى

تعال يا أخى معى إلى رحاب الرحمة وساحات المغفرة إلى البقعة المباركة إلى رسول الله صلوات ربى وسلامه عليه لترى الخير يتدفق كأنها معصرات الغمام تنساب ماءً شجّاجا .

عن ابن عمر رضى الله عنهما قال : أتى النبى ﷺ رجل فقال : إنى أذنبت ذنبا عظيما فهل لى من توبة ؟ فقال : « **هل لك من أم ؟ قال : لا . قال : فهل لك من خالة ؟ قال : نعم . قال : فبرّها** » .

(رواه الترمذى واللفظ له)

فاعلم وفقك الله أن بر الوالدين فيه من الخيرات ما لا يحصى ومن البركات ما لا يستقصى .

فمن ذلك البر وتلك الخيرات والبركات أن إكرامهما من العمل الذى يحبه الله تعالى ويساوى ثواب الجهاد فى سبيل الله تعالى بل هو أفضل ويساوى ثواب الحاج والمعتمر ويوصل إلى نعيم الجنة فى قوله ﷺ : « **الزم رجلها فثم الجنة** » ويزيد فى العمر وفى الأرزاق ويسبب البركة فى المال . بسبب إكرامهما يضع الله النجابة فى الأبناء والطهارة والهداية والتوفيق فتشب على محبة الوالدين وفى برهما فرصة سانحة لضمان دخول الجنة ومن ضيعها خاب وبر الوالدين يزيل الهموم ويجلب اليسر ويضمن النجاة ولقد قرن الله رضاه سبحانه وتعالى برضاهما .

وقد استفاضت الآيات الكريمة التى دعت إلى برهما فاقرأ معى إن شئت:

﴿ **واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحسانا** ﴾ . « **ووصينا الإنسان بوالديه حسنا وإن جاهداك لتشرك بى ما ليس لك به علم فلا تطعهما إلى مرجعكم فأنبئكم بما كنتم تعملون** ﴾ ﴿ **ووصينا الإنسان**

بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى إنى تبت إليك وإنى من المسلمين أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون ﴾ .

اللهم إنك تعلم أننا قد أذنبنا فاغفر لنا ذنوبنا وقد أسأنا فكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار واجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم لقائك .

عبد الحميد كشـك

إذا علمت أن رضا الله تعالى فى رضا الوالدين فاعلم أن سخطه فى سخطهما وأن غضبه فى عقوقهما وسبحان من قال : ﴿ **فلا تقل لهما أف ولا تنهرهما** ﴾ ولو كان هناك كلمة أقل من كلمة أف لقالها الله وقد صدق مولانا سبحانه وتعالى إذ يقول فى حق من أحسن إلى والديه :

﴿ **أولئك الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا ونتجاوز عن سيئاتهم فى أصحاب الجنة وعد الصدق الذى كانوا يوعدون** ﴾ بعد قوله : ﴿ **ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها وحمله وفصاله ثلاثون شهرا حتى إذا بلغ أشده وبلغ أربعين سنة قال رب أوزعنى أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى وأن أعمل صالحا ترضاه وأصلح لى فى ذريتى إنى تبت إليك وإنى من المسلمين** ﴾ .

أما عن الجانب الآخر فيقول مولانا تبارك اسمه : ﴿ **والذى قال لوالديه أف لكما اتعداننى أن أخرج وقد خلت القرون من قبلى وهما يستغيثان الله ويلك آمن إن وعد الله حق فيقول ما هذا إلا أساطير الأولين** ﴾ .

ويأتى الحكم بعد ذكر الحيثيات ويقتضى منطق العدالة الإلهية أن يحكم على هذا وضربائه بهذا المنطق العادل :

﴿ **أولئك الذين حق عليهم القول فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين** ﴾ .

هذا جانب العقوق وقد سبقه جانب البر والصلة هناك وعد بالجنة والتجاوز عن السيئات والتقبل للأعمال الحسنة . وفى جانب العقوق وعيد ونار وخسران مبين .

فانظر لنفسك أى الدار تختار :

ياخادم الجسم كم تشقى لخدمته اتطلب الربح مما فيه خسـران
اقبل على النفس واستكمل فضائلها فأنت بالنفس لا بالجسم إنسان
وامدد يديك بحبل الله معتصمـا فإنه الركن إن خانتك أركـان

احذر هذه الأشياء التى نبه عنها صاحب الرسالة العصماء فى قوله :

عن المغيرة بن شعبة رضى الله عنه عن النبى ﷺ قال : « **إن الله حرم عليكم عقوق الأمهات ووأد البنات ومنعا وهات وكره لكم قيل وقال وكثرة السؤال وإضاعة المال** » . (رواه البخارى وغيره)

ومعنى وأد البنات : أى دفنهن بالحياة وكانت هذه عادة من عادات الجاهلية . قال تعالى : ﴿ **وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم يتوارى من القوم من سوء ما بشر به أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب ألا ساء ما يحكمون** ﴾ .

ومعنى قوله ﷺ : (ومنعا وهات) بسكون النون والحاصل من النهى منع ما أمر باعطائه وطلب ما لا يستحق أخذه ويحتمل أن يكون النهى عن السؤال مطلقا .

لا تخضعن لمخلوق على طمـع فإن ذلك نقص منك فى الدين
لن يقدر العبد أن يعطيك خردلة إلا بإذن الذى سواك من طين
فلا تصاحب غنيا يستعز بـه وكن عفيفا وعظم حرمة الديـن
واسترزق الله مما فى خزائنـه فإن رزقك بين الكاف والنون
واستغن بالله عن دنيا الملـوك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين

ومعنى (قيل وقال) : أى كثرة الكلام بلا فائدة والثرثرة وإعادة الحديث واللغو .

إذا شئت أن تحيا سليماً من الأذى وحظك موفور وعرضك صين
لسانك لا تذكر به عورة امرىء فكلك عورات وللنـاس ألسـن
وعينك أن أبدت إليك مساوئا فصنها وقل يا عين للناس أعيـن

وعاشر بمعروف وسامح من اعتــدى   وفارق ولكن بالتى هى أحســن

وكثرة السؤال المنهى عنها أى فى المسائل التى لا حاجة له إليها أو من الأموال أو عن أحوال الناس (إن المسألة لا تحل إلا لثلاثة : فقر مدقع أو غرم مفظع أو جائحة) وقال النووى فى شرح مسلم : اتفق العلماء على النهى عن السؤال من غير ضرورة واختلف أصحابنا فى سؤال القادر على الكسب على وجهين أصحهما التحريم لظاهر الحديث والثانى يجوز مع الكراهة بشروط ثلاثة : أن لا يلح ولا يذل نفسه زيادة على ذل نفس السؤال ولا يؤذى المسئول فإن فقد شرط من ذلك حرم .

وقد بلغ من اعتزازهم بالله ﴿ **ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ولكن المنافقين لا يعلمون** ﴾ .

وبلغ من ثقتهم به أن قال بعضهم :

حفر بئرين بابرتين ونزح بحرين بغربلين وغسل عبدين أسودين حتى يصيرا كأبيضين وكنس أرض الحجاز فى يوم شديد الهواء بريشتين خير لى أن أقف على باب لئيم يضيع فيه ماء عينى ﴿ **من كان يريد العزة فلله العزة جميعا إليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه . الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ايبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعا** ﴾ جاء ذلك بعد قوله جل شأنه : ﴿ **بشر المنافقين بأن لهم عذابا أليما** ﴾ .

فيا أيها العاقل يا من ترجو لقاء ربك وتعلم أن الليل مهما طال فلابد من طلوع الفجر وأن العمر مهما طال فلابد من دخول القبر :

اجعل بربك كل عزك يستقر ويثبت   فإذا اعتززت بمن يموت فإن عزك ميت

والمقصود بإضاعة المال : الاسراف فى الانفاق وقيل الانفاق فى الحرام .

اللهم وفقنا للعمل بما علمنا وانفعنا بما عملنا وتجاوز عن سيئاتنا فى أصحاب الجنة فأنت مولانا فنعم المولى ونعم النصير .

عبد الحميد كشــك

إذا كان البر لا يبلى فإن الذنب لا ينسى وإذا كان ذلك كذلك فإن الديان لا يموت وإذا علمت ذلك فاحذر هذا الوعيد.: اعمل ما شئت كما تدين تدان .

ومن البر صلة الوالدين والاحسان إليهما .

ومن الذنب العظيم عقوقهما بل إن ذلك عد من الكبائر التى اقترنت بالشرك وشهادة الزور فاسمع معى إلى أبى بكرة يروى عن رسول الله ﷺ قال :

« **ألا أنبئكم بأكبر الكبائر ثلاثا ؟ قلنا : بلى يا رسول الله . قال : الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس ، فقال : ألا وقول الزور وشهادة الزور** »فما زال يكررها حتى قلنا : ليته سكت .

قوله ﷺ : (أنبئكم أى أخبركم) .

الاشراك بالله : مطلق الكفر أن تجعل لغير الله رقيبا على عملك .

حتى قلنا ليته سكت : تمنينا أنه يسكت اشفاقا عليه لما رأوا من أثر انزعاجه فى ذلك . وقال ابن دقيق العبد : اهتمامه ﷺ بشهادة الزور يحتمل أن يكون لأنها أسهل وقوعاً على الناس والتهاون بها أكثر ومفسدتها أيسر وقوعاً لأن الشرك ينبو عنه المسلم والعقوق ينبو عنه الطبع وأما قول الزور فإن الحوامل عليه كثيرة فحسن الاهتمام بها وليس ذلك لعظمها بالنسبة إلى ما ذكر معها .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما عن النبى ﷺ قال : « **الكبائر : الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين الغموس** » .

(رواه البخارى)

اليمين الغموس : هو اليمين الكاذبة الفاجرة كالتى يقتطع بها الحالف مال غيره . سميت غموسا لأنها تغمس صاحبها فى الإثم ثم فى النار وفعول للمبالغة .

وفى كتاب النبى ﷺ الذى كتبه إلى أهل اليمن وبعث به مع عمرو ابن حزم : « **وإن أكبر الكبائر عند الله يوم القيامة الاشراك بالله وقتل النفس المؤمنة بغير الحق والفرار فى سبيل الله يوم الزحف وعقوق الوالدين ورمى المحصنة وتعلم السحر وأكل الربا وأكل مال اليتيم** » (الحديث) .

(رواه ابن حبان فى صحيحه)

والفرار : الهروب من الجهاد لنصرة دين الله والخوف من محاربة الأعداء .

ورمى المحصنة : أى سب العفيفة المتزوجة الصالحة .

إن القلوب لتنخلع أسفا وإن كانت قلوب الأسود لانفطرت وتشققت ولو كانت مرائر النمور لذابت وتفتتت ولو كانت الجبال لرأيتها خاشعة متصدعة لهول هذه الكبائر التى جاءت فى قوله صلوات الله وسلامه عليه .

عن ابن عمر رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ قال : « **ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة : العاق لوالديه ومدمن الخمر والمنان عطاءه . وثلاثة لا يدخلون الجنة : العاق لوالديه والديوث والرجلة** » .

(رواه النسائى والبزار)

والديوث بتشديد الياء هو الذى يقر أهله على الزنا مع علمه بهم .

والرجلة (بفتح الراء وكسر الجيم) هى المترجلة المتشبهة بالرجال .

وحسبك أن تعلم أن هذا المعنى الذى سبق ذكره قد أكده الصادق المعصوم فى حديث آخر .

فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « **ثلاثة حرم الله تبارك وتعالى عليهم الجنة : مدمن الخمر والعاق والديوث الذى يقر الخبث فى أهله** » .

(رواه أحمد واللفظ له والنسائى والبزار والحاكم وقال : صحيح الإسناد).

وروى عن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « **يراح ريح الجنة من مسيرة خمسمائة عام ولا يجد ريحها منان بعمله ولا عاق ولا مدمن خمر** » . (رواه الطبرانى)

هلا صمت عن الدنيا وأفطرت على الموت وأعددت الزاد لليلة صبحها يوم القيامة .

دنياك ساعات سراع الـزوال وإنما العقبى خلود المـآل
فهل تبيع الخلد يا غافــلا وتشترى دنيا المنى والضـلال

كان الفاروق رضى الله عنه قبل أن يغزو النوم عينيه يسأل نفسه هذا السؤال : ماذا تقول لربك غدا لقد كنت ضالا فهداك الله وكنت وضيعاً فرفعك الله وكنت ذليلا فأعزك الله .

وكان يقول : حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وزنوا أعمالكم قبل أن توزنوا فإن مما يهون عليكم الحساب غدا أن تحاسبوا أنفسكم اليوم وتزينوا ليوم العرض الأكبر يومئذ تعرضون لا تخفى منكم خافية .

لقد بين لنا الناصح الأمين فى أحاديثه أنواعاً من الكبائر تقشعر منها الأبدان وتشيب من هولها الولدان فهل وقفت عندها وسألت نفسك عنها فإن حمدت الله على المعافاة منها فأنت عند الله مقبول وإن ندمت وعزمت على عدم العود وأديت الحقوق لأصحابها وأتيت بالفرائض واستغفرت وتبت إلى الله توبة نصوحا فأنت عند الله ممن قال فيهم :

﴿ **والذين لا يدعون مع الله إلها آخر ولا يقتلون النفس التى حرم الله إلا بالحق ولا يزنون ومن يفعل ذلك يلق آثاما يضاعف له العذاب يوم**

القيامة ويخلد فيه مهانا إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات وكان الله غفوراً رحيما ومن تاب وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا ﴾ .

واحذر من التسويف فإن الموت يأتى بغتة وإياك ممن يقول الله فيهم : **﴿ إنهم كانوا لا يرجون حسابا وكذبوا بآياتنا كذابا وكل شيء أحصيناه كتابا فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا ﴾** .

فأعد الزاد للقاء الله وأعلم بأن الدنيا ساعة فأجعلها طاعة وإن النفس طماعة فعودها القناعة .

والعاقل من يتعظ بغيره والكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والفاجر من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله الأمانى .

فاللهم فقهنا فى الدين وزهدنا فى الدنيا وبصرنا بعيوبنا .

عبد الحميد كشك

إرشـــاد العبـــاد

ما أعظم عناية الإسلام ببناء الأسرة الفاضلة فقد أمر سبحانه ببنائها على تقوى من الله ورضوانه . قال عز من قائل :

﴿ يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون ﴾ .

إن الأمر بالوقاية من تلك النار يقتضى من كل مؤمن أن يقيم أسرته على طاعة الله .

قال تعالى :

﴿ فاتقوا الله وأصلحوا ذات بينكم وأطيعوا الله ورسوله إن كنتم مؤمنين ﴾ .

ثم بين سبحانه معالم هذا الإيمان فى صورة واضحة قوية الأركان وطيدة البنيان باذخة الذرى تناطح الجوزاء وتزاحم الشمس فى الجلاء . قال تبارك اسمه : **﴿ إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيمانا وعلى ربهم يتوكلون الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون ﴾ .**

ثم حكم لهم الملك الحق الحكم العدل المقسط بقوله :

﴿ أولئك هم المؤمنون حقا لهم درجات عند ربهم ومغفرة ورزق كريم ﴾ .

وقد بين سبحانه ما يقتضيه الإيمان من واجبات على أصحابه فقال فى بيان تلك الواجبات :

﴿ يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله ورسوله ولا تولوا عنه وأنتم تسمعون ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون ﴾ .

أرأيت إلى هذا الأسلوب الرائع الذى يعبر عنه الانفصام الشبكى الخطير بين سمع الآذان وغفلة القلوب .

لقد أنلتك أذنا غير واعيــة   ورب مستمع والقلب فى صمم

وكما قيل فى المثل : القط يستمع ويأكل . ومن ثم فإن الله شبه هؤلاء وأمثالهم بقوله : **﴿ إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولوا وهم معرضون ﴾** .

فهناك قوم أصيبت قلوبهم بالغفلة عن نداء الله ورسوله وهم الذين قال الله فيهم : **﴿ وقالوا سمعنا وعصينا ﴾** .

أما المؤمنون الصادقون فقد قالوها صريحة مدوية : **﴿ سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير ﴾** ومن مقتضيات الإيمان الحق ما نادى الله به المؤمنين فى قوله :

﴿ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحييكم واعلموا أن الله يحول بين المرء وقلبه وأنه إليه تحشرون واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾ .

فهذه دعوة إلى الاستجابة لدعاء الله ورسوله ففيها الحياة وفيها النجاة وفيها السعادة والشفاء وفيها الرحمة وفيها المودة وفيها الموعظة الحسنة :

﴿ يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين ﴾ .

فبم يفرح المؤمنون ؟

أيفرحون بكثرة المال والولد أم بكثرة الجاه والسلطان ؟

لا . ﴿ **قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خير مما يجمعون** ﴾ .

ولست أرى السعادة جمع مـال ولكن التقى هو السعيـد
وتقوى الله خير الزاد ذخـرا وعند الله للأتقى مزيـد
وادراك الذى يأتى قريـب ولكن الذى يمضـى بعيـد

قف يا أيها المسلم العاقل بين هاتين الآيتين الكريمتين واختر لنفسك قوله تعالى : ﴿ **زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب** ﴾ .

الآية الثانية : ﴿ **قل أؤنبئكم بخير من ذلكم للذين اتقوا عند ربهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها وأزواج مطهرة ورضوان من الله والله بصير بالعباد** ﴾ ثم اسأل نفسك أى الفريقين خير مقاما وأحسن نديا .

إن المؤمن الصادق لا يرضى عن رضا الله بديلا ولا يبغى عنه حولا .

فليست السعادة فى كثرة المال والولد بل قد يكون ذلك مصدر شقاء .

قال عز من قائل : ﴿ **فلا تعجبك أموالهم ولا أولادهم إنما يريد الله ليعذبهم بها فى الحياة الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون** ﴾ .

إنما السعادة الحقيقية فيما نطق به الصادق الأمين فى قوله :

« **اتق المحارم تكن اعبد الناس وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا وأحب لأخيك ما تحب لنفسك تكن مسلما ولا تكثر الضحك فإن كثرة الضحك تميت القلب** » على هذه المبادىء يقوم الإيمان .

وعلى صفات المؤمنين الذين قال الله فيهم : ﴿ **الذين يقولون ربنا إننا أمنا فاغفر لنا ذنوبنا وقنا عذاب النار . الصابرين والصادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالأسحار** ﴾ .

على هذه الصفات تبنى البيوت المؤمنة وقد عقد الله مقارنة بين بنيانين قال فيهما : ﴿ **أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار فأنهار به فى نار جهنم والله لا يهدى القوم الظالمين لا يزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم إلا أن تقطع قلوبهم والله عليم حكيم** ﴾ .

فأى الفريقين أحق بالأمن إن كنتم تعلمون . الاجابة : ﴿ **الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون** ﴾ .

فاللهم أكرمنا ولا تهنا وزدنا ولا تنقصنا وارفعنا ولا تضعنا إنك سميع قريب مجيب الدعاء .

عبد الحميد كشـك

إرشـــاد العبـــاد

اعلم أن الله تعالى لا يقبل العمل إلا إذا توافر فيه شرطان :

أن يكون صوابا وأن يكون خالصا .

ومعنى كونه صوابا أن يكون موافقا لما شرع الله تعالى .

ومعنى كونه خالصا أن يقصد به وجه الله وحده .

وقد اجتمع الشرطان فى قوله تبارك اسمه : ﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا** ﴾ .

فلابد من الاخلاص واحضار النية فى جميع الأعمال والأقوال والأحوال البارزة والخفية . بهذا نطق الكتاب وصرح صحيح السنة .

قال الله تعالى :

﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة ، وذلك دين القيمة** ﴾ .

وقال تعالى :

﴿ **قل إن تخفوا ما فى صدوركم أو تبدوه يعلمه الله** ﴾ .

وعن أمير المؤمنين أبى حفص عمر بن الخطاب ابن نفيل بن عبد العزى ابن رباح بن عبد الله بن قرط بن رزاح بن عدى بن كعب بن لؤى بن غالب القرشى العدوى رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **إنما الأعمال بالنيات ، وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله**

ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه » .

(رواه إماما المحدثين أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبة الجعفى البخارى وأبو الحسن مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيرى النيسابورى رضى الله عنهما فى كتابيهما اللذين هما أصح الكتب المصنفة) .

وعن أم المؤمنين أم عبد الله عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : « **يغزو جيش الكعبة فإذا كانوا ببيداء من الأرض يخسف بأولهم وآخرهم . قالت : قلت : يا رسول الله كيف يخسف بأولهم وآخرهم وفيهم أسواقهم ومن ليس منهم ؟ قال : يخسف بأولهم وآخرهم ثم يبعثون على نياتهم** » . (متفق عليه . هذا لفظ البخارى)

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : قال النبى ﷺ : « **لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية وإذا استنفرتم فانفروا** » . (متفق عليه)

ومعناه : لا هجرة من مكة لأنها صارت دار إسلام .

وعن أبى عبد الله جابر بن عبد الله الأنصارى رضى الله عنهما قال : كنا مع النبى ﷺ فى غزاة فقال : « **إن بالمدينة لرجالا ما سرتم مسيراً ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم حبسهم المرض** » . « **إلا شركوكم فى الأجر** » .

(رواه مسلم)

ورواه البخارى عن أنس رضى الله عنه قال : رجعنا من غزوة تبوك مع النبى ﷺ فقال : « **إن أقواما خلفنا بالمدينة ماسكنا شعبا ولا واديا إلا وهم معنا حبسهم العذر** » .

وعن أبى يزيد معن بن يزيد بن الأخنس رضى الله عنهم وهو وأبوه وجده صحابيون ، قال : كان أبى يزيد أخرج دنانير يتصدق بها فوضعها عند رجل فى المسجد فجئت فأخذتها فأتيته بها . فقال : والله ما إياك أردت فخاصمته إلى رسول الله ﷺ فقال : « **لك ما نويت يا يزيد ولك ما أخذت يا معن** » . (رواه البخارى)

وعن أبى إسحاق سعد بن أبى وقاص مالك بن أهيب بن عبد مناف ابن زهرة بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤى القرشى الزهرى رضى الله عنه أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ؛ رضى الله عنهم .

قال : جاءنى رسول الله ﷺ يَعودنى عام حجة الوداع من وجع اشتد بى فقلت : يا رسول الله إنى قد بلغ بى من الوجع ما ترى وأنا ذو مال ولا يرثنى إلا ابنة لى افأتصدق بثلثى مالى ؟ قال : « **لا** » . قلت : فالشطر يا رسول الله ؟ فقال : « **لا** » . قلت : فالثلث يا رسول الله ؟ قال : « **والثلث كثير – أو كبير – إنك إن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس وإنك لن تنفق نفقة تبتغى بها وجه الله إلا أجرت عليها حتى ما تجعل فى فيىء امرأتك** » قال : فقلت : يا رسول الله أخلف بعد أصحابى ؟ قال : « **إنك لن تخلف فتعمل عملا تبتغى به وجه الله إلا أزددت به درجة ورفعة ولعلك إن تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون اللهم امض لأصحابى هجرتهم على أعقابهم** » لكن البائس سعد بن خولة يرثى له رسول الله ﷺ أن مات بمكة . (متفق عليه)

وعن أبى هريرة عبد الرحمن بن صخر رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« **إن الله لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم** » . (رواه مسلم)

وعن أبى موسى عبد الله بن قيس الأشعرى رضى الله عنه قال :

سئل رسول الله ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حمية ويقاتل رياء أى ذلك فى سبيل الله ؟

فقال رسول الله ﷺ : « **من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله** » . (متفق عليه)

وعن أبى بكرة نفيع بن الحارث الثقفى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال : « **إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول فى النار . قلت :**

يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول ؟ قال : إنه كان حريصا على قتل صاحبه » . (متفق عليه)

اللهم ارزقنا عملا صالحا صوابا خالصا لوجهك الكريم واقدر لنا الخير حيث كان إنك على كل شيء قدير .

عبد الحميد كشـك

الاخلاص شجرة مباركة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها .

والرياء ضده فهو شجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار .

وكلاهما من أعمال القلوب ودولة القلوب لا يملك مفاتيح أسرارها إلا الواحد الديان الذى قال فى محكم آياته :

﴿ إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار ولن تجد لهم نصيرا إلا الذين تابوا وأصلحوا واعتصموا بالله واخلصوا دينهم لله فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤتى الله المؤمنين أجرا عظيما ﴾ .

لقد دعا الله إلى الاخلاص فى السر والعلن .

قال جل شأنه : **﴿ إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق فاعبد الله مخلصا له الدين ألا لله الدين الخالص ﴾** . وقال : **﴿ قل إنى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين ﴾** . وقال : **﴿ قل الله أعبد مخلصا له دينى ﴾** .

ويوم يصير الفؤاد فارغا من الاخلاص فلا ثواب لصاحبه على عمل بل يكون من الذين قال الله فيهم : **﴿ وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة تصلى نارا حامية ﴾** .

عن أبى أمامة رضى الله عنه قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : أرأيت رجلا غزا يلتمس الأجر والذكر ماله ؟ فقال رسول الله ﷺ : « **لا شىء له** » فأعادها ثلاث مرات ويقول رسول الله ﷺ : لا شىء له ثم

قال : « **إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتغى به وجهه** » . (رواه أبو داود والنسائى بإسناد جيد)

سبحانك ربى أنت أغنى الشركاء عن الشرك فمن عمل عملا أشرك فيه غيرك تركته وشريكه .

تباركت من قائل :

﴿ **فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحدا** ﴾ .

ومن قائل :

﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة** ﴾ .

سبحانك ربى :

لما علمت بأن قلبى فارغ عمن سواك ملأته بهـداك
وملأت كلى منك حتى لـم ادع منى مكانا خاليا لسـواك

واستمع معى إلى هذا البيان الواضح الصريح الذى ألقاه الصادق المعصوم على الأمة فى حجة الوداع .

عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه عن النبى ﷺ أنه قال فى حجة الوداع : « **نضر الله امرءا سمع مقالتى فوعاها فرب حامل فقه ليس بفقيه ثلاث لا يغل عليهم قلب امرء مؤمن : إخلاص العمل لله والمناصحة لأئمة المسلمين ولزوم جماعتهم** » .

(رواه البزار بإسناد حسن وابن حبان فى صحيحه)

والمعنى أن هذه الثلاثة تستصلح بها القلوب فمن تخلق بها طهر قلبه من الخيانة والفساد والشر ولا يتخلص العبد من الشيطان إلا بالاخلاص لقول الله عز وجل :

﴿ **إلا عبادك منهم المخلصين** ﴾ .

وروى أن أحد الصالحين كان يقول لنفسه : (يا نفس اخلصى تتخلصى) .

وكل حظ من حظوظ الدنيا تستريح إليه النفس ويميل إليه القلب قل أم كثر إذا تطرق إلى العمل تكرر به صفوه وزال به إخلاصه . والإنسان مرتبط فى حظوظه منغمس فى شهواته قلما ينفك فعل من أفعاله وعبادة من عباداته عن حظوظ وأعراض عاجلة من هذه الأجناس فلذلك قيل : من سلم له من عمره لحظة واحدة خالصة لوجه الله نجا وذلك لعزة الاخلاص وعسر تنقية القلب عن الشوائب .

فالاخلاص تنقية القلب من الشوائب كلها قليلها وكثيرها حتى يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعث سواه وهذا لا يتصور إلا من محب لله مستغرق الهم بالآخرة بحيث لم يبق لحب الدنيا فى قلبه قرار فمثل هذا لو أكل أو شرب أو قضى حاجته كان خالص العمل صحيح النية ومن ليس كذلك فباب الاخلاص مسدود عليه إلا على الندور .

قال العلماء :

(وكما أن من غلب عليه حب الله وحب الآخرة فاكتسبت حركاته الاعتيادية صفة همه وصارت اخلاصا فالذى يغلب على نفسه الدنيا والعلو والرياسة وبالجملة غير الله اكتسبت جميع حركاته تلك الصفة فلا تسلم له عبادة من صوم وصلاة وغير ذلك إلا نادرا .

فإن علاج الاخلاص كسر حظوظ النفس وقطع الطمع عن الدنيا والتجرد للآخرة بحيث تغلب ذلك على القلب فإن ذاك يتيسر به الاخلاص .

وكم من أعمال يتعب الإنسان فيها ويظن أنها خالصة لوجه الله ويكون فيها من المغرورين لأنه لم ير وجه الآفة .

﴿ من كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذموما مدحورا ومن أراد الآخرة وسعى لها سعيها وهو مؤمن فأولئك كان سعيهم مشكورا ﴾ .

اللهم ارزقنا عملاً خالصا وقلبا خالصا وتقبل منا إنك أنت السميع العليم .

عبد الحميد كشـك

قالوا عن الاخلاص إنه الروح الذى يحيى الله به الموات والنور الذى يبدد غياهب الظلمات .

إنه الماء الذى يسرى فى العود الأخضر والضياء الذى يمحو ظلمة الليل الحالكة ، والهواء الذى لا يستغنى عنه حى فهو الماء والضياء والهواء والروح والنور .

حكى عن بعضهم أنه كان يصلى دائما فى الصف الأول فتأخر يوما عن الصلاة فصلى فى الصف الثانى فاعترته خجلة من الناس حيث رأوه فى الصف الثانى فعلم أن مسرته وراحة قلبه من الصلاة فى الصف الأول كانت بسبب نظر الناس إليه وهذا دقيق غامض قلما تسلم الأعمال من أمثاله وقل من ينتبه له إلا من وفقه الله تعالى والغافلون عنه يرون حسناتهم يوم القيامة سيئات وهم المقصودون بقوله تعالى :

﴿ وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبدا لهم سيئات ما كسبوا ﴾ .

وبقوله عز وجل :

﴿ قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا الذين ضل سعيهم فى الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ﴾ .

قال يعقوب : (المخلص من يكتم حسناته كما يكتم سيئاته) .

قال السوسى : (الاخلاص فقد رؤية الاخلاص فإن من شاهد فى اخلاصه الاخلاص فقد احتاج اخلاصه إلى اخلاص) .

وما ذكر اشارة إلى تصفية العمل من العجب بالفعل فإن الالتفات إلى الاخلاص والنظر إليه عجب وهو من جملة الآفات والخالص ما صفا عن جميع الآفات .

قال أيوب : (تخليص النيات على العمال أشد عليهم من جميع الأعمال) .

وقال بعضهم :

اخلاص ساعة نجاة الأبد ولكن الاخلاص عزيز .

وقيل لسهيل : أى شيء أشد على النفس ؟

قال : (الاخلاص إذ ليس لها فيه نصيب) .

وقال الفضيل :

(ترك العمل من أجل الناس رياء العمل من أجل الناس شرك والاخلاص أن يعافيك الله منهما) .

والنية انبعاث القلب يجرى مجرى الفتوح من الله فقد تتيسر فى بعض الأوقات وقد تتعذر فى بعضها ومن كان الغالب على قلبه أمر الدين تيسر عليه فى أكثر الأحوال إحضار النية للخيرات فإن قلبه مائل بالجملة إلى أصل الخير فينبعث إلى التفاصيل غالبا .

ومن مال قلبه إلى الدنيا وغلبت عليه لم يتيسر له ذلك بل لا يتيسر له فى الفرائض إلا بجهد جهيد .

وعن عمر بن الخطاب رضى الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : « **إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه** » . (رواه البخارى ومسلم)

روى عن الشافعى إنه قال : (هذا الحديث ثلث العلم) .

ومعنى قوله : « **إنما الأعمال بالنيات** » يعنى أن صلاح الأعمال الموافقة للسنة بصلاح النية وهو كقوله ﷺ : « **إنما الأعمال بالخواتيم** » .

وقوله ﷺ : « **وإنما لكل امرىء ما نوى** » يعنى ثواب العامل على عمله بحسب النيات الصالحة التى يجمعها فى العمل الواحد .

وقوله : « **فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه** » .

بعد ارساء القاعدة الأولى ذكر مثالا للأعمال التى صورتها واحدة ويختلف فى صلاحها وفسادها .

والنية الصالحة لا تغير المعاصى عن موضعها فلا ينبغى أن يفهم الجاهل ذلك من عموم قوله ﷺ : « **إنما الأعمال بالنيات** » فيظن أن المعصية تصير طاعة بالنية .

فإن قوله ﷺ : « **إنما الأعمال بالنيات** » يخص من أقسام العمل الثلاثة الطاعات والمباحات دون المعاصى إذ الطاعة تنقلب معصية بالقصد .

والمباح ينقلب معصية أو طاعة بالقصد .

أما المعصية فلا تنقلب طاعة بالقصد ودخول النية فى المعصية إذا انضاف إليها قصود خبيثة تضاعف وزرها وبالها .

والطاعات مرتبطة بالنيات فى أصل صحتها وفى تضاعف فضلها فأما الأصلفهو أن ينوى بها عبادة الله وحده فإن نوى الرياء صارت معصية .

وأما تضاعف الفضلفبكثرة النيات الحسنة أما المباحات فما من شيء منها إلا ويحتمل نية أو نيات يصير بها من محاسن القربات وينال بها معالى الدرجات .

عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال : (أفضل الأعمال أداء ما افترض الله تعالى والورع عما حرم الله وصدق النية عند الله تعالى) .

وقال بعض السلف :

(رب عمل صغير تعظمه النية ورب عمل كبير تصغره النية) .

وعن يحيى بن أبى كثير :

(تعلموا النية فإنها أبلغ من العمل) .

وصح عن ابن عمر أنه سمع رجلا عند احرامه يقول :

اللهم إنى أريد الحج والعمرة فقال له : اتعلم الناس أو ليس الله يعلم ما فى نفسك وذلك لأن النية هى قصد القلب ولا يجب التلفظ بها فى شىء من العبادات .

وقال قال رسول الله ﷺ :

« **إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلا ما كان له خالصا وابتغى به وجهه** » .

والقلب الصحيح هو الذى سلم من كل شهوة تخالف أمر الله ونهيه ومن كل شبهة تعارض خبره فسلم من عبودية ما سواه وسلم من تحكيم غير رسوله فخلصت عبوديته لله تعالى إرادة ومحبة وتوكلا وإنابة واخباتا وخشية ورجاء وخلص عمله لله فإن أحب أحب فى الله وإن ابغض ابغض فى الله وإن أعطى أعطى لله وإن منع منع لله ولا يكفيه هذا حتى يسلم من الانقياد والتحكيم لكل ما عدا رسوله ﷺ .

اللهم اجعل أعمالنا خالصة لوجهك الكريم واجعل خير أعمالنا خواتيمها وخير أيامنا يوم لقائك وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

عبد الحميد كشك

اخلص قلبك لله يكفك القليل من العمل وعليك بالاخلاص ولا تبالى بقلة العمل بعد ذلك الاخلاص سر النجاح فى أمور الدنيا والآخرة .

قال عز من قائل :

﴿ **واخلصوا دينهم لله** ﴾ بعد قوله : ﴿ **إلا الذين تابوا واصلحوا واعتصموا بالله** ﴾ .

ثم حكم سبحانه لهؤلاء بقوله :

﴿ **فأولئك مع المؤمنين وسوف يؤتى الله المؤمنين أجرا عظيما** ﴾ .

والآن نسأل ما هو الاخلاص ؟

الاخلاص هو تجريد قصد التقرب إلى الله عز وجل عن جميع الشوائب .

وقيل هو إفراد الله عز وجل بالقصد فى الطاعات .

وقيل هو نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق .

والاخلاص شرط لقبول العمل الصالح الموافق لسنة رسول الله ﷺ وقد أمرنا الله عز وجل به فقال تعالى :

﴿ **وما أمروا إلا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء** ﴾ .

ألا تعلم أيها المسلم أن الاخلاص مدار الأجر فلو كنت ممن يقومون الليل وأتيت فراشك تنوى أن تقوم من الليل فغلبتك عينك فنمت ولم تقم كان

نومك صدقة عليك من ربك وأعطاك الله ثواب ما نويت ولو أكلت تريد وتنوى أن تتقوى بهذا الطعام على طاعة الله كان لك ثواب تلك الطاعة .

ولو تزوجت تريد العفاف فإن فى بضع أحدكم صدقة وهكذا إذا تجردت النية لله تعالى وقصد بالعمل وجهه تبارك اسمه كان لك بكل فعل من أفعالك ثواب عند علام الغيوب : ﴿ **قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين** ﴾ .

وقد أخبر الصادق الأمين بمنطقه السديد يخاطب كل ذى عقل رشيد أخبر عن قيمة النية والاخلاص فقال فيما رواه أبو هريرة رضى الله عنه : « **صلاة الرجل فى جماعة تزيد على صلاته فى سوقه وبيته بضعا وعشرين درجة وذلك أن أحدهم إذا توضأ فأحسن الوضوء ثم أتى المسجد لا يريد إلا الصلاة لا ينهزه إلا الصلاة لم يخط خطوة إلا رفع له بها درجة وحط عنه بها خطيئة حتى يدخل المسجد فإذا دخل المسجد كان فى الصلاة ما كانت الصلاة هى تحبسه والملائكة يصلون على أحدكم ما دام فى مجلسه الذى صلى فيه يقولون : اللهم ارحمه اللهم اغفر له اللهم تب عليه ما لم يؤذ فيه ما لم يحدث فيه** » . (متفق عليه)

وهذا لفظ مسلم وقوله ﷺ ينهزه هو بفتح الياء والهاء وبالزاى أى يخرجه وينهضه .

وعن أبى العباس عبد الله بن عباس بن عبد المطلب رضى الله عنهما عن رسول الله ﷺ فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى قال :

« **إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك :**

فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبها الله تبارك وتعالى عنده حسنة كاملة وإن هم بها فعملها كتبها الله عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبها الله تعالى عنده حسنة كاملة وإن هم بها فعملها كتبها الله سيئة واحدة » . (متفق عليه) .

وعن أبى عبد الرحمن عبد الله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« انطلق ثلاثة نفر ممن كان قبلكم حتى آواهم المبيت إلى غار فدخلوه فانحدرت صخرة من الجبل فسدت عليهم الغار فقالوا إنه لا ينجيكم من هذه الصخرة إلا أن تدعوا الله تعالى بصالح أعمالكم . قال رجل منهم : اللهم كان لى أبوان شيخان كبيران وكنت لا أغبق قبلها أهلا ولا مالا فنأى بى طلب الشجر يوما فلم أرح عليهما حتى ناما فحلبت لهما غبوقهما فوجدتهما نائمين ، فكرهت أن أوقظهما وأن أغبق قبلهما أهلا أو مالا فلبثت – والقدح على يدى – انتظر استيقاظهما حتى برق الفجر والصبية يتضاغون عند قدمى فاستيقظا فشربا غبوقهما اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك ففرج عنا ما نحن فيه من هذه الصخرة فانفرجت شيئا لا يستطيعون الخروج منه . قال الآخر : اللهم إنه كانت لى ابنة عم كانت أحب الناس إلى كنت أحبها كأشد ما يحب الرجال النساء فأردتها على نفسها فامتنعت حتى ألمت بها سنة من السنين فجاءتنى فاعطيتها عشرين ومائة دينار على أن تخلى بينى وبين نفسها ففعلت حتى إذا قدرت عليها – وفى رواية **– فلما قعدت بين رجليها قالت : اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فانصرفت عنها وهى أحب الناس إلى وتركت الذهب الذى أعطيتها. اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة غير أنهم لا يستطيعون الخروج منها . وقال الثالث : اللهم استأجرت أجراء واعطيتهم أجرهم غير رجل واحد ترك الذى له وذهب فثمرت أجره حتى كثرت منه الأموال فجاءنى بعد حين فقال : يا عبد الله أد إلى أجرى فقلت كل ما ترى من أجرك من الإبل والبقر والغنم والرقيق . فقال : يا عبد الله لا تستهزىء بى فقلت : لا استهزىء بك فأخذه كله فاستاقه فلم يترك منه شيئاً . اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافرج عنا ما نحن فيه فانفرجت الصخرة فخرجوا يمشون » .** (متفق عليه)

نسأل الله تعالى أن يرزقنا الصدق فى القول والاخلاص فى العمل وحب الخيرات وترك المنكرات وتجريد النية لوجهه سبحانه .

عبد الحميد كشــك

إرشـــاد العبـــاد

اعلم أن الإسلام رفع مكانة العلم وحث على التعلم وشواهد ذلك فى القرآن كثيرة منها قوله عز وجل : ﴿ **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** ﴾ .

وقوله عز وجل :

﴿ **قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون** ﴾ .

وأما الأخبار :

قول الرسول ﷺ :

« **من يرد الله به خيراً يفقهه فى الدين** » .

وقوله ﷺ :

« **من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهَّل الله له به طريقا إلى الجنة** » .

وسلوك الطريق لالتماس العلم يدخل فيه سلوك الطريق الحقيقى هو المشى بالأقدام إلى مجالس العلماء ويدخل فيه سلوك الطرق المعنوية المؤدية إلى حصول العلم مثل حفظه ومدارسته .

وقوله ﷺ :

« **سهل الله له به طريقا إلى الجنة** » .

قد يراد بذلك أن الله يسهل له العلم الذى طلبه وسلك طريقه ويسره عليه فإن العلم طريق يوصل إلى الجنة .

كما قال بعض السلف : (هل من طالب علم فيُعان عليه) .

وقد يراد به طريق الجنة يوم القيامة وهو الصراط وما قبله وما بعده .

والعلم أيضا يدل على الله تعالى من أقرب طريق فمن سلك طريقه وصل إلى الله تعالى وإلى الجنة من أقرب طريق .

والعلم أيضا يهتدى به فى ظلمات الجهل والشبه والشكوك ولهذا سمى الله كتابه نوراً .

وفى الصحيحين عن عبد الله بن عمر وعن النبى ﷺ أنه قال : « **إن الله لا يقبض العلم انتزاعاً ينتزعه من صدور الناس ولكن يقبضه بقبض العلماء فإذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤوسا جهالا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا** » .

وسئل عبادة بن الصامت عن هذا الحديث فقال : لو شئت لأخبرتك بأول علم يرفع من الناس : الخشوع .

وإنما قال عبادة رضى الله عنه هذا لأن العلم قسمان أحدهما : ما كان ثمرته فى قلب الإنسان هو العلم بالله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله المقتضى لخشيته ومهابته وإجلاله ومحبته ورجائه والتوكل عليه .

فهذا هو العلم النافع كما قال ابن مسعود : (إن أقواما يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم ولكن إذا وقع فى القلب فرسخ فيه نفع) .

وقال الحسن : العلم علمان : علم على اللسان فذاك حجة على ابن آدم كما فى الحديث : « **القرآن حجة لك أو عليك** » .

وعلم فى القلب فذاك العلم النافع فأول ما يرفع من العلم العلم النافع وهو العلم الباطن الذى يخالط القلوب ويصلحها ويبقى علم اللسان فيتهاون الناس به ولا يعلمون بمقتضاه لا حملته ولا غيرهم ثم يذهب هذا العلم بذهاب حملته وتقوم الساعة على شرار الخلق .

وتعليم العلم هو الخير كله وذلك بالذهاب إلى العلماء والبحث عن دقائقه وهو سبب الخشية والقرب من الله وتمام الثقة به وفيه الهداية والالهام إلى الرشد وتنوير القلب ويدعو إلى الورع ويبعد عن الفتن والكبرياء والخيلاء والاعجاب .

وطالبه يسلك طريق الجنة وكذا من ساعده وأمده وأعانه .

واجتماع قوم لدراسة القرآن سبب رحمة الله وفيضه وعونه هذا إلى أن كل شيء يطلب المغفرة للعالم العامل بعلمه والعلم عنوان العز ومعين البر وباب العلا ونور الحق والخلّ الوفى والصاحب الصديق الموصل فى الجنة إلى جوار الأنبياء والشهداء الجارى ثوابه مدى الحياة وبعد الممات وهو خير مكتسب وأعظم مطلب يهدى إلى الحق ويزيل الأذى وطالبه كأرض مخصبة وشجرة مثمرة والجاهل كالصحراء لا فائدة منه والعالم يشفع فيمن يحب له الخير يوم القيامة والله وعد ألا يعذبه وهو عدو ألد للشيطان يهدم بنيانه ويسفه رأيه ويحارب أنصاره ويحذر الناس من غوايته ويطلب من الناس أن ينتفعوا بميراث محمد ﷺ وهو أتباع الكتاب والسنة .

وخير العلم ما قربك إلى الله وشره السفسطة والجدل والالحاد والزندقة وإن موت العالم خسارة على الأمة وخلل فى بنيانها وكوكب غاب فى سمائها .

عن أبى أمامة عن النبى ﷺ قال :

« **من غدا إلى المسجد لا يريد إلا أن يتعلم خيراً أو يعلمه كان له كأجر حاج تاما حجته** » . (رواه الطبرانى فى الكبير)

وروى عن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من جاء مسجدى هذا لم يأته إلا لخير يتعلمه أو يعلمه فهو بمنزلة المجاهدين فى سبيل الله ومن جاء بغير ذلك فهو بمنزلة الرجل ينظر إلى متاع غيره** » .

(رواه ابن ماجه والبيهقى)

وعن أبى الدرداء قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « **من غدا يريد العلم يتعلمه لله فتح الله له بابا إلى الجنة وفرشت له الملائكة أكنافها وصلت**

عليه ملائكة السماوات وحيتان البحر وللعالم من الفضل على العابد كالقمر ليلة البدر على أصغر كوكب فى السماء والعلماء ورثة الأنبياء . إن الأنبياء لم يورثوا ديناراً ولا درهما ولكنهم ورثوا العلم فمن أخذه أخذ بحظه وموت العالم مصيبة لا تجبر وثلمة لا تسد وهو نجم طمس ، موت قبيلة أيسر من موت عالم » .

(رواه أبو داود والترمذى)

وروى عن أنس بن مالك رضى الله عنه قال : خطبنا رسول الله ﷺ بمسجد الخيف من منى فقال : « **نضر الله امرءً سمع مقالتى فحفظها ووعاها بلغها من لم يسمعها ثم ذهب بها إلى من لم يسمعها ألا فرب حامل فقه لا فقه له ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن : اخلاص العمل لله والنصيحة لأئمة المسلمين ولزوم جماعتهم فإن دعوتهم تحفظ مَنْ وراءهم** » . (رواه أحمد وابن ماجه والطبرانى)

وعن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : « **إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا . قالوا : يا رسول الله وما رياض الجنة ؟ قال : مجالس العلم** » .

(رواه الطبرانى فى الكبير)

وعن أبى أمامة قال : قال رسول الله ﷺ : « **إن لقمان قال لابنه : يا بنى عليك بمجالسة العلماء واسمع كلام الحكماء فإن الله ليحيى القلب الميت بنور الحكمة كما يحيى الأرض الميتة بوابل المطر** » .

(رواه الطبرانى فى الكبير)

أسأل الله أن يعلمنا فنعمل ويوفقنا فنسعد إنه قـ.ـر مجيب الدعوات .

عبد الحميد كشـك

اعلم أنه لا ينزل بلاء إلا بذنب ولا يرفع إلا بتوبة واعلم أن الذنوب هى المهلكات التى تنزل بصاحبها الوبال والخسران المبين وما يجريه الله تعالى على الفرد يجريه على الأمم .

قال تعالى : ﴿ **ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الأرض ما لم نمكن لكم وأرسلنا السماء عليهم مدرارا وجعلنا الأنهار تجرى من تحتهم فاهلكناهم بذنوبهم وأنشأنا من بعدهم قرنا آخرين** ﴾ .

وقال جلت قدرته :

﴿ **أو لم يهد للذين يرثون الأرض من بعد أهلها أن لو نشاء أصبناهم بذنوبهم ونطبع على قلوبهم فهم لا يسمعون** ﴾ .

وقل جل جلاله :

﴿ **فكلا أخذنا بذنبه فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا ومنهم من أخذته الصيحة ومنهم من خسفنا به الأرض ومنهم من أغرقنا وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون** ﴾ .

وهذا البلاء لا يرفع إلا بتوبة وتوجه وتضرع واستغفار .

قال جل شأنه : ﴿ **فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفارا يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً** ﴾ .

واعلم بأن تقوى الله هى السلاح الأقوى وأن الإيمان به أساس كل سعادة وإصلاح كما أن معاصيه تزيل النعم وتنزل ضيق العيش والمعيشة الضنك وقد اجتمعت تلك المعانى فى قوله تبارك اسمه :

﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون ﴾ .

إذا كنت فى نعمة فارعهـا   فإن المعاصى تزيل النعـم
وداوم عليها بشكـر الإلـه   فإن الإلـه سريع النقـم

إن للذنوب آثارا وخيمة وعواقب سيئة ينخلع من هولها الأفئدة وتنفطر من شدتها قلوب الأسود ومرائر النمور ويندى لعواقبها جبين الحياء خجلا وقد بين العلماء تلك العواقب وهذه الآثار بيانا وافيا كافيا . قال أصحاب البصائر :

إن للذنوب من الآثار القبيحة المذمومة المضرة بالقلب والبدن فى الدنيا والآخرة ما لا يعلمه إلا الله فمنها حرمان العلم فإن العلم نور يقذفه الله فى القلب والمعصية تطفىء ذلك النور .

ولما جلس الإمام الشافعى بين يدى مالك وقرأ عليه أعجبه ما رأى من نور فطنته وتوقد ذكائه وكمال فهمه فقال : إنى أرى الله قد ألقى على قلبك نوراً فلا تطفئه بظلمة المعصية وقال الشافعى :

شكوت إلى وكيع سوء حفظى   فارشدنى إلى ترك المعاصـى
وقال اعلم بأن العلم فضـل   وفضل الله لا يؤتـاه عاصـى

ومنها حرمان الرزق .

وفى المسند أن العبد ليحرم الرزق بالذنب يصيبه . وكما أن تقوى الله مجلبة للرزق فترك التقوى مجلبة للفقر فما استجلب رزق الله بمثل ترك المعاصى ومنها وحشة يجدها العاصى فى قلبه بينه وبين الله لا يوازنها ولا يقارنها لذة أصلا ولو اجتمعت له لذات الدنيا بأسرها لم تف بتلك الوحشة .

وهذا أمر لا يحس به إلا من فى قلبه حياة وما لجرح بميت إيلام فلو لم ترك الذنوب إلا حذرا من وقوع تلك الوحشة لكان العاقل حريا بتركها .

وشكا رجل إلى بعض العارفين وحشة يجدها فى نفسه فقال له : إذا كنت قد أوحشتك الذنوب فدعها إذا شئت واستأنس وليس على القلب أمر من وحشة الذنب على المذنب فالله المستعان .

ومنها الوحشة التى تحصل له بينه وبين الناس ولا سيما أهل الخير منهم فإنه يجد وحشة بينه وبينهم وكلما قويت تلك الوحشة بعد منهم ومن مجالستهم وحرم بركة الانتفاع بهم وقرب من حزب الشيطان بقدر ما بعد من حزب الرحمن وتقوى هذه الوحشة حتى تستحكم فتقع بينه وبين امرأته وولده وأقاربه وبينه وبين نفسه فتراه مستوحشا من نفسه .

وقال بعض السلف : إنى لأعصى الله فأرى ذلك فى خلق دابتى وامرأتى .

ومنها تعسير أموره عليه .

كما أن من اتقى الله جعل له من أمره يسرا فمن عطل التقوى جعل الله من أمره عسرا .

ويا للعجب كيف يجد العبد أبواب الخير والمصالح مسدودة عنه متعسرة عليه وهو لا يعلم من أين أتى .

ومنها ظلمته يجدها فى قلبه حقيقة يحس بها كما يحس بظلمة الليل البهيم إذا أدلهم فتصير ظلمة المعصية لقلبه كالظلمة الحسية لبصره فإن الطاعة نور والمعصية ظلمة وكلما قويت الظلمة ازدادت حيرته حتى يقع فى البدع والضلالات والأمور المهلكة وهو لا يشعر كأعمى أخرج فى ظلمة الليل يمشى وحده وتقوى هذه الظلمة حتى تظهر فى العين ثم تقوى حتى تعلو الوجه وتصير مسوداً فى الوجه حتى يراه كل أحد .

قال عبد الله بن عباس : إن للحسنة ضياء فى الوجه ونوراً فى القلب وسعة فى الرزق وقوة فى البدن ومحبة فى قلوب الخلق .

وإن للسيئة سواداً فى الوجه وظلمة فى القبر والقلب ووهنا فى البدن ونقصا فى الرزق وبغضة فى قلوب الخلق ومنها أن المعاصى توهن القلب والبدن

أما وهنها للقلب فأمر ظاهر بل لا يزال توهنه حتى تزيل حياته بالكلية وأما وهنها للبدن فإن المؤمن قوته من قلبه وكلما قوى قلبه قوى بدنه وأما الفاجر فإنه وإن كان قوى البدن فهو أضعف شيء عند الحاجة فتخونه قوته عند أحوج ما يكون إلى نفسه .

اللهم إنا نسألك لسانا ذاكرا وقلبا شاكرا وبدنا على البلاء صابرا كما نسألك الهدى والتقوى والعفاف والغنى .

عبد الحميد كشـك

رقم الإيداع ٨٨/٢٢٥٥

الترقيم الدولى ٢ -٠١١- ١٠٦- ٩٧٧ ISBN